

قررت نظارة المعارف العمومية هذا الكتاب للمطالعة في مدارسها

أَكْبَابُ اللَّيَاقَةِ

تأليف

محمد مسعود

المحرر الفني بنظارة المعارف

(قسم المطبوعات)

١٩١٣ - ١٩١٤

حقوق إعادة الطبع محفوظة للمؤلف

١٩١٣ - ١٩١٤

الطبعة الاولى

في رمضان سنة ١٣٣١ - اغسطس سنة ١٩١٣

التزام محمد افندي زكي امين بالخدمة

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

obeykandi.com

كلمة المؤلف

هذا كتيب ضمنته قواعد في الآداب الاجتماعية ،
وأصولاً في قوانين المعاشرة ، استخلصتها مما أقرته
العادة ، وأجمعت عليه الأذواق ، وتوافرت على الأخذ به
الطبقات المهذبة في الأمم الراقية .

وكفي بياناً لأهميتها ، أنها المحور الذي تدور عليه
الروابط الأدبية والاجتماعية ، التي تربط الأفراد بعضهم
ببعض في البلاد المتحضرة ، والميزان الذي توزن به أخلاقهم
وطباعهم فمن كان على إرث منها ، أو فائزاً بالسهم الأجزل ،
رمق بعين الاحترام ، وأحلّ محلّ الأجلال والأعظام ،
ومن كان عنها بمنحاة ، عومل معاملة من لا خلاق لهم ،
ونبذت النواة .

ولما كان مرمى من التأليف بين أجزاء هذا
الكتيب ، هداية النفس إلى أقوم الطرق ، لتنشيط تصرفاتهم
القولية والفعلية ، وأن يشبهوا عارفين بالأنسب والأليق
منها في ظروف الحياة المتباينة ، وأطوارها المتناقضة ، فقد

توخيت في وضعه أن يكون سهل العبارة ، قريب المأخذ
على الفهم . بما أوردته في غضون أحكامه وقواعده ، من
الأمثال والشواهد ، الذاهبة بشئ من خشونة الأمر
والنهي ، حتى أصبح ، على ما أرجو ، خليقاً بأن يتداوله
النشء ، وأن يجعل منهم في المستقبل ، بما استظهره من
قواعده ، وألفوا العمل به من مبادئه ، طبقة عارفة بحقوقها
وواجباتها الاجتماعية ، دالة بأخلاقها وطرائفها المحمودة
في السير والساوك ، ونزعاتها في آداب المعاشرة ، على كرم
الأمة التي هم أبناؤها ، ورسوخ شرفها ، وتأثر مجدها
وإنما الأئمة الأخلاق ما بقيت

فأن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

هذا وإنني أزدلف إلى مقام سعادة ناظر المعارف
العمومية ، بترديد آي الشكر له ، إذ أمدني من ينبوع علمه
الغزير ، ودرايته التامة بهذا الفن ، بكثير من قواعده ،
واهتمام بنوره في تهذيب ما أوردته من عندي ، أبقاه الله
عضداً للعالم ، وذخراً للفضل . آمين محمد مسعود

﴿ آداب مركات الجسم واوضاعه ﴾

١ — تستدعى راحة الجسم ، أن تكون أوضاعه المختلفة من قيام وقعود ، وحركة وسكون ، بعيدة عن التصنع الذى يشوهه ويكشف عيوب الأخلاق .
ولما كان نمو الجسم ، يبعث الطفل على استمرار الحركة والانتقال ، كان من حسن التأديب ، تعويده مغالبتهما فى حضرة كبار الناس .

٢ — ينبغى ، إذا وقف المرء ، أن يقف معتدل القامة ، فلا يقوس ظهره ، ولا يميل برأسه يمنة أو يسرة ، ولا يرفعه الى السماء ، ولا يستند الى جدار أو غيره .

٣ — وعليه ، إذا مشى ، أن تكون حركته قصداً بين البطء والسرعة ، مع تخفيف وقع القدمين على الأرض .
أما المرأة ، فيجملُ بها أثناء السير ، أن تجعل إحدى ذراعيها ، بحيث توهم أن بيدها شيئاً ، إذفى إرسالها الذراعين

مؤازيتين للجسم ، ما يجعلها أشبه بالرجل منها بالمرأة .

٤ — وليحذر ، إذا جلس ، الاضطجاع كالكسالى ، ولف الساق بالساق ، وتحريكهما كالأرجوحة ، واعتماد الرأس باليدين ، والاستناد الى الكرسي كالكسول ، والأخذ من مجلس جاره ، وإكثار الميل الى أحد الجانبين ، والتنقل من مكان الى مكان ، وجر الآثاث بحيث تسمع لها قرقة يتأذى بها السمع ، لأن هذه المحظورات دليل سوء الأدب والطيش .

٥ — مما يحسن بالتأدب اجتنابه ، إذا كان في مجلس ، ألا يظل جالساً إذا وقفوا ، أو واقفاً إذا جلسوا ، ولا يشخص بنظره فيما حوله ، ولا يحتجى^(١) ، ولا يبعد بين رجله ، ولا يتلوى بالنظر في مراة قبالة ، ولا يكثر العبث بشعره أو بلباسه ، ولا يمك بأطراف ثياب جلسه وإزاره أو يحلق بعينه ، ولا يهز كتفيه أو يخرج لسانه ، ولا يضرب يديه أو رجله ، كمن يزن

(١) من الاحتباء وهو أن يأخذ المرء ركبته بكفيه

مقاطع نفاتٍ يسمعها ، ولا يلاعبَ الجوّ بسلسلةٍ ساعته ،
أوبشيءٍ ما في متناول يده .

﴿ آداب الرأس والوجه ﴾

١ — لا يحسنُ بالمهذب أن يميلَ برأسه جانباً إلا في
مواقف الخشوع والطاعة ، كأن يكون مصلياً ، أو مائلاً
بين يدي كبيرٍ ؛ إذ لا بأسَ عندئذٍ من إمالته قليلاً الى
الأمام .

ولا تحسنُ الأجابةُ على سؤالٍ بأيماءةِ الرأسِ ،
لدلالاتها على الازدراء والاستخفاف .

٢ — الوجهُ مرآةُ النفس ، والشاهدُ على طباع المرء ،
لذا ينبغي ألا تدعو ملامحه الى الظنة بصاحبه . فلا
يكون دائماً العبوسة بلا باعث ، ولا دائماً البشاشة عن
خفة ، أو إفراطٍ في رفع الكلفة ، ولا ضاحكا في مقام
الحزن ، ولا متكلفاً الا ككتاب في مجالس التبسط ،
ولا متصنعاً الاتضاع أمام الكبراء عن رهبة أو رغبة ،

بل عن أدبٍ صحيح وثباتٍ جاشٍ .

٣ — المرأة أداةٌ تنطبع فيها صورةُ الرائي . فلا

يستهوينه العجبُ بنفسه إلى الوقوف أمامها ، إلا بمقدار ما يصلح من شأنه ، ويتأكد من انتظام هندامه وحسن سمته ، حتى إذا برز للناس ، أو سار في قضاء شؤونه ، لا يقع نظرُ أحدٍ على ما يدعو إلى انتقاده ، أو الاستخفاف به .

وقف رجلٌ ذات يومٍ على باب النبي عليه الصلاة والسلام يستأذنُ عليه ، فخرج النبي ، فوجد في حجرته ركوة^(١) فيها ماءٌ ، فوقف يسوي لحيته وينظر إليها . فلما رجع داخلاً ، أنكرت عائشة ذلك عليه ، فقال : « يا عائشة إن الله يحبُّ ، إذا خرج عبده المؤمنُ إلى أخيه ، أن يتهيأَ له وأن يتجملَ »

٤ — إذا رأى أحدكم امرأةً دَمَت^(٢) وجهها

(١) الركوة بفتح الراء مع التشديد اثناء اللقاء جمعها ركاء وركوات

(٢) من دم الشيء طلاه بطلاء . ودم البيت جصه . ودم السفينة قيرها أي

طلاها بالقير وهو القطران . ودم المسكين طلاه بظاهره بدمام . والدمام ما طلى

به الوجه وهو المراد هنا

بالأبيض والأحمر ، لتجودَ على نفسها بما ضنت الطبيعةُ
به عليها من محاسنِ الخلق ، أفلا يشعرُ في نفسه بالاحتقارِ
لها ، والاستخفافِ بها ؟

لا ريب في ذلك : لأنها لا تفشّ الناسَ فقط ، بل
تخدع أيضاً نفسها ، وفي هذا منتهى التفرير والغفلة .

وجديرٌ بالمرأة أن تضعَ نصبَ عينيها ، أن تديمَ
الوجهَ بالأبيض والأحمر ، لا يجوزُ إلا للممثلات ، في
الملاهي والمسارح ، وأنه شديدُ الخطر على الوجه ، فهو
لا يلبثُ أن يشوّههُ ، ويذهبَ بروائه (١)

٥ — ينبغي تعهدُ الرأسِ بالنظافة ، وولايةُ الشعرِ

(١) الدمامات يدخل السم في تركيبها فينفذ من المسام عند طلاء الوجه بها
ويدور مع الدم في دورته فتنشأ عنه الأمراض القتالة . وهي تصنع اما من
أبيض الرصاص وهو سم يفسد النظام العضوي في زمن قصير ويستحيل الى
لون أسود اذا لامسه الكبريت . واما من أبيض الزئبق وهو ضار أيضا لأنه
يحمل الجلد صلبا ويصيب الوجه بالتجعد والاضرار . واما من أبيض الباريت
وهو فضلا عن رذاعته شديد الخطر . واما من أبيض الزمروت وهو يستحيل الى
لون اسود بتماسه الكبريت . وهالك دمامات حمراء غير هذه ليست بأقل منها
ضررا بالجسم

بقصه وتنسيقه . ويكون ذلك بتمشيطة وترجيله (١) .
والزم ما تكون هذه العناية ، إذا كان المرء زائراً أو مزوراً .
دخل رجلٌ على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثائر الرأس
أشعث اللحية (٢) ، فقال : « أما كان لهذا دهنٌ يسكن
به شعره ؟ » ثم سكت هنيهة ، وقال : « يدخل أحدكم كأنه
شيطان ! »

٦ — خَلِيقٌ بِالْمَهْدَبِ أَلَّا يَدَعَ ذَوَابَّتَهُ (٣) . وفوديه (٤) ،
بارزات من تحت القلنسوة (٥) ، لما فيه من التطرف الذي
يذهب بالوقار والهيبة ، وألّا يرسل شعره على كتفيه ،
تشبهاً بأهل الشعر ، والتمثيل ، والتصوير من الأوروبيين ،
بحجة أنه من زمرةم .

لأن إرسال الشعر لا يدل على النبوغ وسعة العقل ،

(١) الترجيل من رجل بتشديد الجيم إرسال الشعر بالتمشيطة ويقال أيضاً في
تجميل الشعر وتجميله

(٢) ثائر من ثار بمعنى هائج الشعر . وأشعث من الشعث الانتشار والتفرق

(٣) الذؤابة هي شعر الناصية جمعها ذوآب

(٤) الفود هو معظم شعر الرأس مما ينبت الأذن

(٥) القلنسوة لباس الرأس أياً كان جمعها قلانس وقلانس يقال : قلنسته

فتقلنس ألبسته القلنسوة فلبسها

وإلاَّ كَانَ النساءُ أوسعَ عقلاً من الرجال ، وأكثرَ استعداداً للنبوغ .

٧ — لا تعبتُ بِشاربيك ، ولا تدهنُ شعرَ رأسك بالزيوت ؛ لأنها أدعى إلى التصاق الغبارِ به .

٨ — لا يلبسُ بمن يحترمُ نفسه ، أن يطيلَ لحيته أو شاربيه إطالةً تشوّه خلقته ، أو أن يقصّ لحيته كذنب الحمامة ، أو يتركها متفتلةً إيهاماً بالتقوى ، أو شعثةً إعلاناً للزهد ، أو ينتفها التماساً لشباب مضي ، أو يستلّ الأبيض منها ، أو يخضبها بالسواد أو غيره ، استنكافاً من الشيب (١) .

﴿ آداب العين واللمحظ ﴾

١ — العينُ مرآةُ الانفعالاتِ النفسية ، واللسانُ الناطق بما يتأثر به الوجدانُ ، من الفضائل أو النقائص . قال بعض الحكماء : « العينُ بابُ القلب ، فما كان في

(١) كان ابن أبي ليلى قاضى المدينة يرد شهادة من يتلف لحيته .

القلب ظهر في العين . . وقال الشاعر :

وإن تك في حيب أو عدو تحبرك العيون عن الضمير
فاحذر إذا أن تترجم عينك عن حقد كمين في
نفسك ، أو رياء تحاول أن تخدع به غيرك ، أو حسد
ترمق به مال سواك .

٢ — من فضول النظر: التحديق في الناس والأشياء
بغير ما سبب ، والنظر إلى المحرمات المنهى عنها .

استأذنت الربيع بن خيثم على ابن مسعود ،
فخرجت له جارية حسناء ، فغمض عينيه ، فعادت وقالت
لابن مسعود : إن بالباب رجلاً أعمى يقول — أنا الربيع
ابن خيثم — فقال لها : ليس الرجل بأعمى ، وإنما غصت
بصره عما نهاه الله عنه .

٣ — من الناس من إذا نزل به مكروه ، أو ألم به
نازل من الضيق ، أطرق برأسه إلى الأرض ، ونظر إلى

نقطة منها لا تحوّل عينه عنها .

أولئك هم ضعافُ القلوب ، الذين يفقدون الثقة في المستقبل ، والرجاء في جانب الله ، ويضيعون بفعلهم هذا ، شطراً كبيراً من أعمارهم ، فيما لا جدوى منه .

٤ — من حق العين على المرء ، وهي أدق عضو من أعضاء الجسم ، تعهده إياها بالنظافة ، مجتنباً في ذلك استعمال اليد ؛ لأنها قد تكون ملوثة ، فتصيبها بلوثها .

وإذا سقط الذباب على العين ، فالواجب طرده حالاً ، لأنه ينزل على الأشياء العفنة ، فتعلق أجزاؤها بأرجله . فإذا وقف على العين ، ولم يُبادر بطرده ، أصابها بمرض رُجما ذهب بها ^(١) .

(١) قال الدكتور هوارد في كتابه « الذبابة المنزلية » أن الذبابة تنقل بأرجلها وأجنحتها من ٥٥٠٠٠٠ إلى ٦٦٠٠٠٠ جرثومة من الجراثيم العفنة فتكون بذلك سبباً في تفشي الأمراض المعدية كالحمى التيفودية والسل والكوليرا الخ . وأثبت الباحثون في معمل من معامل نيويورك الكيماوية أن الذبابة الواحدة تحمل في ممصها ١٠٠٠٠٠٠ جرثومة من جراثيم المواد البرازية فإذا سقطت هذه الذبابة في اناء اللبن مثلاً أو لامست العين فلا شك في أنها تصيب شاربه بتلك الأمراض كما تصيب العين بالاصابات الرممية التي كثيراً ما تذهب بها . ولقد كانت السبب في نشر الحمى التيفودية بين الجنود الأمريكية في جزائر الفلبين والالتهاب =

﴿ آداب الأذنين والاذن ﴾

١ - يجبُ على المرءِ استخراجُ ما في أُذنيه من الصملاخ^(١)، الذي إذا بقيَ فيهما، ورسبت عليه الأتربة، أفضى إلى الصمم .

ولا يكونُ استخراجُ بأصابع اليد، ولا على مرأى من الناس، لذا يحسنُ التعمُّدُ على تنظيفهما في الخلوة، عند الانتباه من النوم .

٢ - إذا كان تنظيفُ الأذنين من القذر واجباً،

المسمى المسمى بين الجنود الانكليزية في أفريقية الجنوبية ولما كانت الذبابة الواحدة تبيض في منتصف أبريل ١٢٠ ذبابة النصف منها أنثى فانه يتناسل من بناتها الستين ومن احفادها في خلال الثلاثة الشهور التالية ٢٥٩٢٠٠٠٠ ذبابة النصف منها أنثى ١٢٩٦٠٠٠٠ أنثى اذا تناسلت فقد بلغ عدد نسلها في شهر ستمبر التالي ٥٥٩٨٧٢٠٠٠٠٠٠٠ ذبابة . فمن الواجبات التي على الانسان لنفسه أولاً وللإجماع الانساني ثانياً أن يستمد منذ شهر افريل من كل عام لمحاربة الذباب وابادته لأنه اذا فعل ولم يبد الا ذبابة واحدة فقد كفى الانسانية شر ذلك العدد البالغ من الذباب في شهر ستمبر . وخير وسائل الابادة الورق المزج بطرح في كل غرفة ، أو قليل من الفورمول في عشرة أمثاله ماء

(١) الصملاخ يطلق على داخل خرق الأذن وعلى وسخه أيضاً والمراد هنا المعنى الأخير

فأوجب منه تنزيههما عن سماع القبيح .

فقد قيل : « نزه نفسك عن استماع القبيح ، كما تنزه

نفسك عن الكلام به ، فإن السامع شريك القائل »

ومن تنزيههما ألا تسترق بهما السمع خلف

الجدران والأبواب والحوائل ، لأن هذا العمل من

الخيانة ، وسوء الأدب . ولا تمدّهما عند سماع الأغاني ،

إلا إلى ما يكون منها داعية نشاط النفس ، وبث

الأخلاق الفاضلة فيها .

٣ — ليس من الأدب ، ولا من المروءة ، الصياح في

أذن الغير ، أو النفخ فيها ، أو الضرب عليها ، أو الجذب

منها .

ولا يليق بالأهل ، ثقب آذان الغلمان ، أو تعليق

الحلي فيها ، فإن هذا بالأناث أجدر ، وبهن الصق .

٤ — مما تشمئز النفس منه ، وضع الأصبع في

الأنف (١) ، والتمخطُ في اليدِ ، وإلقاء المخاطِ على الأرضِ والجدرانِ والمقاعدِ .
والواجبُ استجماعُ المخاطِ في منديلٍ ، ينبغي وقتَ وضعه على الأنفِ ، إسبالةُ أيضاً على الفمِ ، حتى يحجبه عن الأنظارِ .

ويحترزُ من طرحِ المنديلِ على الأرضِ ، أو الآثاثِ بعد ذلك ، ومن إبرازِ طرفه من الجيبِ .

هـ - يحسنُ أن تحترزَ بقدر الطاقة ، من التمخط أو العطاس (٢) في المجالسِ ، وقطع ما بين الناس من الحديثِ ، بالصوتِ الناشئ عنهما .

(١) من المعلوم أن العظيم المقوم لحيمة الأنف غمضه في يتأثر بالضغط وتوالي اللمس . فإذا اعتاد أحد الناس على وضع أصبعه في أنفه فإن الغضاضيف المقومة له لا تلبث أن تتأثر بهذا الفعل فيتميز شكاه أما بالاعرافه عن اتجاهه الطيبين أي باعوجاجه وأما بالبعاجه وأما بغير ذلك

(٢) في الشرق يسمت الماطس بأن يقال له: «يرحمك الله» فيجواب بقوله: «يهدبكم الله ويصيح بالكم» والتسميت لا يكون إلا للماطس الذي يتبع عطائه بحمد الله فإذا لم يحمد الله لا يسمت . والتسميت عند الإفراجم عادة قديمة جداً وشائعة حتى الآن سيما بين رجال الدين حيث يقال للماطس «بارك الله فيك» وسببه أن مرضاً مقروناً بالماطس فذا في أوروبا وقتئذ فكان الناس يسمتون بعضهم بعضاً بهذا الدعاء

﴿ آداب النعم والاشانه والامانه ﴾

١ - يجب تطهير الفم بغسله ، وبالاحتراز مما يدعو الى تصاعد الروائح الكريهة منه .

وأفضل وسيلة لنظافته السواكُ خواص اجتمعت فيه (١)

٢ - حاذر من إتلاف الأسنان باستعمالها في رفع الأحمال الثقيلة ، وكسر النقل (٢) ، وأكل المأكولات اليابسة ، وقرض الأظافر .

(١) السواك عود شجر يسمى الاراك ينبت في بلاد العرب وهو بطيب الفم لاحتوائه أصلاً عطرياً ، ويشد المثة لقبض فيه ، ويقوى المدة لاحتوائه جوهرأ مساعداً على الهضم ، ويبرد البول ويذهب الحمر لاحتوائه أملاح الصودا والبوتاسا . والحفر بفتح الداء هو مرض ميوعة الدم والمثة - وقد وقف علماء الافرنج على مزايا السواك فدحوه وحنوا على استعماله . جاء في مجلة « غازنة باريس الطبية » الصادرة بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩١٢ تحت عنوان « العناية بالفم عند العرب » ما يأتي : « بتأثير السواك تصير الأسنان ناصبة البياض واللثة والشفان جميلة اللون الاحمر . ونساء العرب يعطرن أفواههن بعد السواك بمضغ نوع من الصمغ يسمى في تونس باللبسان . . . وأنه لما يكدر ألا تكون عناية بأفواهنا نحن معشر المتمدنين كمناية العرب بها »

(٢) النقل هو الفواكه الجافة كالجوز والبندق الخ

٣ — إذا فرغت من الطعام ، فلا تتخذ لتنظيف

أسنانك : الدبابيس أو الأبر أو أسنان الأقلام أو
أطراف المدي . بل أقصاب الريش المبرية ، أو الأعواد
المديبة من الخشب والعاج .

وأحسن من هذا كله ، أعواد الخلال التي فضلا عن
لينها ، تحتوى عنصرا طبيعيا عظيم الأثر في تطهيرهما ،
وتقويتهما .

٤ — من الوقار وحسن السميت ، ألا تلوك الفم
بلسانك أمام الغير ، تتحرى به فضلات الطعام ، ولا تضعه
بين الشفتين للاستخفاف .

ومن مكارم الأخلاق : صون اللسان عن الكلام فيما
لا يعنى ، والخوض فى الباطل ، والمراءى ، والخصومة ،
والتشدد ، والمزاح الذى يتعدى الحشمة ، والاستهزاء ،
وفشاء السر ، والكذب فى القول والحلف والوعد ،
الى غير ذلك من رشقات اللسان ، ومهلكاته .

﴿ آداب التَّأَوُّبِ وَالْعَطَاسِ وَالْبَصْقِ ﴾

١ — إذا شعرتَ بالحاجةِ الى التَّأَوُّبِ ، فاسترْ
فمك بالكفِّ ، أو انتحِ ناحيةً إذا لَجَّ بك التَّأَوُّبُ ، حتى
لا يتسرَّبَ الى وَهْمِ الحاضرين أنَّ في وجودهم ضجرك
ومن التنطع : الكلامُ اثناء التَّأَوُّبِ ، والتَّأَوُّبُ
بدوى .

٢ — إذا أخذَكَ السعالُ ، فضعْ منديلَكَ على فمك ،
كيلا يطيرَ رشاشُ اللعابِ منه على وجوهِ مجالسيك ،
أو انتبذْ مكاناً حتى ينصرفَ السعالُ .

٣ — من سلامةِ الذَّوقِ ، إذا أحسَّ المرءُ بالحاجةِ
الى البصقِ ، أن يبصقَ في منديله ، وأن يحذرَ البصقَ
من النوافذِ وعلى الجدرانِ والفرشِ ، وأن يراعى في حالةِ
البصقِ ، تحويلَ وجهه قليلاً عن الحاضرين ، وأن
يكونَ بصقه بلا صوتٍ ولا جهدٍ .

﴿ آداب اليد والاصابع ﴾

١ — اليدُ أكثرُ أعضاء الجسم تعرّضاً للمسِّ
الْأَشْيَاءِ ، لهذا ينبغي تعهدها بالغسل ، والتشفيف ، قبلَ
الطعام وبعده .

وفي وجوب تعهدها بالنظافة ، ورد حديثُ : « إذا
نامَ أحدُكم ، وفي يده غمرٌ ^(١) ، فأصابه شيءٌ ، فلا يلومَنَّ إلا
نفسه » وحديثُ : « إذا استيقظ أحدُكم من نومه ، فليغسلْ
يدَهُ ، فإنه لا يدري أين باتت »

٢ — كما يجبُ تطهيرُ اليدين من القذرِ ، ينبغي قبضهما
عن الأذى ، والأضرار بالناس .

فلا تكن إذا سريع المبادرة برفعهما على الغير للبطش
به ، ولو كان معتدياً . فربَّ ضربةٍ باليدِ أصابت مقتلاً ،

(١) الغمر بفتح الغين والميم ريح اللحم

فأصبح الضاربُ في عدادِ المجرمين (١).

٣ — من علاماتِ التوقيرِ للشيوخِ والعلماءِ والعظماءِ ،
تقبيلُ اليدِ ، وهي عادةٌ لا بأسَ بها .

أما تقبيلُ الغيرِ ، فقد يكونُ : إما عن هلعٍ ، أو
عن ضعةٍ نفسٍ ، أو عن قصدِ الخديعةِ ، وكلُّ أولئك
ممنقوتٌ .

دخل رجلٌ على الخليفة عبدِ الملك بن مروان (٢) ،
فقبل يدهُ ، وقال : « يدُك يا أميرَ المؤمنين أحقُّ بالتقبيلِ ،
لعلوِّها في المكارمِ ، وطهرها عن المآثمِ . وإنك لتقلُّ
التثريبَ . وتصفحُ عن الذنوبِ ، فمن أراد بك سوءاً ، جعله

(١) في قانون العقوبات المصري نص صريح يقضى بموافقة من يرتكب هذه
الجرمة نراه في المادة ٢٠٠ من هذا القانون وهو : « كل من جرح أو ضرب
أحداً عمداً أو أعطاه مواد ضارة ولم يقصد من ذلك قتلاً ولكنه أفضى إلى الموت
بما قرب بالانفعال الشاقة أو السجن من ثلاث سنوات إلى سبع » . الخ

(٢) هو خامس الخلفاء من بني أمية بويج له بها عقب وفاته والده مروان بن
الحكم (سنة ٦٥ هجرية - ٦٨٤ ميلادية) وتوفي (سنة ٨٦ هجرية - ٧٠٥
ميلادية) فكانت مدة خلافته ٢١ سنة و ١٥ يوماً وكان عاقلاً حازماً أديباً
فقيهاً . وهو أول من نقش الدنانير والدراهم باللغة العربية (سنة ٧٦ هجرية)
وكان النمش على الدنانير قبل ذلك بالرومية وعلى الدراهم بالفارسية واتخذ داراً
للضرب ونقش على الدراهم « الله أحد الله الصمد »

الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك »

٤ — اعتاد البعضُ فركَ اليدين إعلاناً بسرورٍ ، أو التماساً للحرارة ، إذا بردَ الجوُّ .
وهي عادةٌ إذا أمكن النزوع عنها ، كان ذلك الصق بالأدب .

٥ — من الأناقة و ضبط النفس ، ألا تتلمس بأصابعك الأشياء التي تسترعى نظرك ، إذ يكفي لقضاء عجبك مما ترى ، مجرد النظر إليه عن بعد .

واحذر الأشارة بسباتك ، الى من يرد ذكره على لسانك ، وقصع الأصابع على مسمع ومرأى من الغير .

٦ — قصّ الاظافر واجبٌ في الخلوة ، كلما تهيأت بطولها لا حتواء الأوساخ .

ويستعمل فيه المقرض فقط ، لا السكين أو الأسنان (١) .

(١) الظفر مادة قرنية ليست بالصلبة حتى تتمقت ولا بالليونة حتى تتعرض للأفامل لما يصيبها بالجراح فهو إذاً أحسن وقاية لها من تأثير المصادمات .

وفى وجوب تقليدها ، وَرَدَ حَدِيثُ : « قُصُوا أَظْفِيرَكُمْ » . وَحَدِيثُ : « لَا تَرُكَنَّ مِنْ أَظْفِيرِكَ ، فَإِنَّهُ أَزِينُ لَكِنَّ » .



﴿ آداب الركبتين والقدمين ﴾

١ — يحسنُ بالمرءِ وقد أخذ مجلسه ، ألاَّ يبعدَ كثيراً ولا يجمعَ كثيراً بين ركبتيه ، ولا يشبكَ عليهما يده ، ولا يلفَ ساقاً بساق .

وحسبُ المرءِ من هذه الأوضاعِ ضرراً ، أنها تعوقُ دورةَ الدَّمِ ، وتحدثُ الاعوجاجَ في العمودِ الفقريِّ ، دَعُ عدمَ لياقتها في المجتمعات .

٢ — مما يأخذهُ الغيرُ عليك ، إذا وقفتَ ، أنْ تضربَ بِقَدَمِكَ الأرضَ كالجوادِ الحرنِ ، أو تدورَ

== والملاسمات . ويتجدد مرة في كل ثلاثة أشهر وقرضه بالاسنان مضر جداً لاحتوائه نسبة كبرى من المواد السمية التي تنصرف اليه من سائر البدن . وثبت من إحصائيات عملت بألمانيا أن تلاميذ المدارس الذين يقرضون أظفارهم بصابون بأمراض تسبب موت ٩٠ في المائة منهم

بهما حول نفسك ، أو تجرّهما على الأرض جرّاً حين
المشي ، أو تمشي بهما مشية المقعد .
والواجب في حالتك سكونك وحركتك ، ألا
تصنع لهما هيئات غير عادية .

٣ — عليك بنظافة القدمين ، حتى لا تتصاعد منهما
رائحة يتأذى بها مخالطوك ومجاوروك ، فيكون نصيبك
منهم الازدراء ، والفرار من معاشرتك .
وليكن ذلك كل يوم مع ما تنظف من أعضاء
جسمك . وإن كنت من المصلين فما أغناك عن هذه
النصيحة !

﴿ آداب الظهر والكتفين والذراعين ﴾

١ - يتصنع بعض الفتيان تقويس ظهورهم أثناء
المشي أو الجلوس ، ليعطوا أنفسهم وقار الشيوخ ، وسيماء
العقلاء .

وفي هذا التصنع ، ما يجلب لهم احتقار العارفين بأنهم
صغارٌ في جلود كبار .

ويهمل آخرون استواء الظهر في القيام والقعود ،
فيعوجُّ عمودهم الفقري ، وتكون نتيجة إهمالهم الحذب .
وهو ما يجدر بهم اجتنابه ، والحذر منه .

٢ - إيك وهز الكتفين للدلالة على عدم الرضى ، أو
للأجابة سلباً . لأنَّ الكلام بالكتفين وبيعض الأعضاء
دون اللسان ، يخالف الطبيعة ، ويدل على الاستخفاف
بالناس ، والغرور بالذات .

٣ - حاذر ، إذا كنت سائراً في طريق مزدحم
بالمارّة ، أن تطوح بيديك بشدة ، لأن هذه الحركة ،
وإن تكن موافقة للصحة في الخلوة ، والمتزهات . فقد
لا تحمد مغبتها ، حيث يشتد الزحام .

٤ - من آيات الاستخفاف والتهاون . الاتكاء
أثناء الحديث على المناضد أو الوسائد ، وملاعبة الآثاث

وتوسد الذراعين ، أو تشبيكهما على الصدر ، فعلٌ الذليل الخاضع .

وخير الأوضاع للذراعين ، إرسالهما معتدلتين الى جانب الجسم حال الوقوف . أو طرحهما على ظاهر الفخذين أثناء الجلوس .

﴿ آداب النظافة ﴾

١ - النظافة من ألزم الأمور للإنسان ، وأهمها في حفظ صحته ، وتقوية بنيته ، وصيانة مكانته في المجتمع .
فينبغي إذاً أن تأخذ بها نفسك ، لتقوى على أداء واجباتك ، وتنال احترام الناس لك .

ومن الدلائل البديهية على ضرورتها ، أن العمل بها طلب من الإنسان منذ وجد ، وأن الشرائع كلها متفقة على وجوبها . فالشريعة الموسوية تفرض

الآغتسال بالماء قبل العبادة ^(١) ، والشريعة الإسلامية تحتمه تحتما لهذا القصد وغيره ^(٢) ، والشرائع الأخرى حافلة بالتعاليم الآمرة به .

٢ - تناول النظافة العناية بالجسم والثياب ، وتطهير المسكن . والمنبه الطبيعي الى ضرورة مزاولتها ، حواس الشم والنظر واللمس .

فبالشم ، يميل المرء الى الرائحة الزكية ، ويتأذى بالرائحة الكريهة ، فيتجنب مصدرها ، ويزيل أسبابها ،

(١) جاء في التوراة - اصحاح ٣٠ من سفر الخروج : « وكلم الرب موسى قائلاً وتصنع مرحضة من نحاس وفاعدتها من نحاس للاغتسال وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتحمل فيها ماء يغسل هارون وبنيوه أيديهم وأرجلهم منها عند دخولهم الى خيمة الاجتماع يغسلون بماء ثلاثاً يموتوا أو عند اقترابهم الى المذبح ليوقدوا وقوداً للرب يغسلون أيديهم وأرجلهم ثلاثاً يموتوا ويكون لهم فريضة أبدية له والنسلة في أجيالهم » وفي هذا دليل على أن النظافة كانت لاهيتها مفروضة منذ العصر القديم .

(٢) شددت الشريعة الإسلامية في تحميم رعاية النظافة وجعلتها الطريق لمعبادات . قال تعالى : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وقال : « يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرحز فاهجر » والرحز بضم الراء وكسرهما القدر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان من الفطرة المضمضة والاستنشاق والسواك وقس الشارب وتقليم الأظفار وتنف الأبط والاستعداد وغسل البراجم والانتضاح بالماء والاختتان » والاستعداد هو الاحتلاق والبراجم جمع برجة بضم الباء الظاهر والباطن من مفاصل الأصابع كلها .

وباللمس والنظر ، يعرفُ ما لا رائحة له ، وما عسى أن يكون الاتصالُ به سببَ العدوى بالأمراض ، فيتعدُّ عنها .

٣ - نظافةُ الجسم تكونُ بالاستحمام كلَّ يومٍ للمستطيع ، على أن يكونَ بالماء الساخن ولو مرة في الأسبوع ، لما يترتب عليه من إزالة العرق والموادِّ الدهنية ، التي إذا تراكت على الجلد ، سدَّت المسامَ ، ونشأت عنها الأمراضُ ^(١) ، فضلاً عن القذر ومستكره الروائح .

وكفى بما يشعرُ المرءُ به من النشاط والخفة ، عقبَ

(١) ان جلد الانسان عضو تيجر اذا تصاعد منه يومياً نحو كيلو جرام من الماء ، وعضو امتصاص لانه يمتص السوائل التي تلامسه ، وعضو تنفس لانه يمتص الاوكسجين ويطرد حمض الكرونيك كما تفعل الرئة سواء ؛ الا ان عمل الرئة اكثر من عمل الجلد ١٣ مرة . وقد اثبت العلماء أهمية وظائف الجلد بأن ازبل صوف حيوان وطلّى جلده بطلاء لزج لا ينفذ منه الهواء ولا السوائل فأصيب الحيوان باضطرابات انتهت بموته . والاوزاخ التي تتلبد على جلد الانسان تحدث في جسمه من الاضطرابات ما أحدثه ذلك الطلاء بالحيوان . ومن امراض الجلد الناشئة عن اهمال النظافة الجرب والحسكة وأنواع القوب الخ وهي ممیة لكابة منظرها ولهذا ترى الناس يفرون من صاحبها

الاستحمام دليلاً على قيام الجلد بوظائفه
أما غير المستطيع ، فيستحم مرة على الأقل في
الأسبوع^(١) .

٤ — إن تجرّد الوجه واليدين دائماً ، والرأس والرجلين
أحياناً ، من اللباس ، يعرضها للقذر ، سواءً بتراكم
الأجزاء السابحة في الهواء عليها ، أو بلامسة الأشياء
القذرة بذاتها . لذا ينبغي تعهدها مراراً في اليوم الواحد .
والقيام بفروض الوضوء ، تمهيداً للصلوات الخمس
في الدين الاسلامي ، كفيلٌ بنظافة تلك الأعضاء ،
وواقٍ للجسم من الأصابة بأمراض كثيرة خطيرة^(٢) .

(١) جاء في حديث شريف : « اغتسلوا يوم الجمعة ولو كالماء بدينار » وفيه
إشارة الى أن الاستحمام ينبغي ألا يقل عن مرة في الأسبوع كما ينبغي أن
يستهان بالماء في سبيله

(٢) من مستلزمات الوضوء تنظيف النعم بالمضمضة مع الفرغرة أي رد
الماء أي تصميده الى الخياشيم واستنارته بمد ذلك وغسل الوجه من مبتدأ الجهة
ومنتهى الذقن طولاً وبين الاذنين عرضاً مع توصيل الماء الى منابت شعور
الحاجبين والشاربين والمذارين والأهداب وادخال الاصابع في محاجر العينين
وموضع الرمض ، وغسل اليدين الى المرفقين مع تحريك الخاتم ان وجد ، ورفع
الماء الى أعلى المضد ، ومسح الأذنين ظهراً وباطناً بادخال المسبحتين في داخل
الاذنين وادارة الاتهامين على ظاهرهما ، ومسح الرقبة وغسل الرجلين باليد اليسرى
متخللاً أصابعهما مع رفع الماء الى نصف الساقين .

هـ — كفى بالنظافة فضيلةً ، أنها تدعو الى توفيرك ،
وإن لم تكن غنياً ولا عالماً ، فهى زينة من لازمة له .
وإذ كانت هذه مكانة النظافة من الأهمية فى حياة
الإنسان ، فجديراً بك أن تعودها نفسك باطناً وظاهراً .
ولا تنسين أن النظافة تدعو إلى حسن الترتيب ،
وحسن الترتيب يقضى إلى القصد ، والقصد يؤدى
إلى الثروة التى هى أساس هناء الأسرة ، ومن أهم أسباب
استحكام عرى الوئام بين أعضائها .

﴿ آداب الثياب والحلى ﴾

١ — يجب أن تكون نظافة الثياب ، ملازمةً لنظافة
الجسم ، ونتيجة له ، فإن قدرها مع نظافة الجسم ، لا يخلو
حاملها وصف الاتساخ ، كنظافتها مع قدره سواء .
فعليك إذا بنظافة الثياب ، لاسيما المجاسد^(١) منها .
ولا تنس أنك إذا عنيت بها ، ونسقتها على جسمك بما

(١) جمع عسد على وزن (مبرد) هى من الثياب ما يلبى الجسد كالشمار

لا يَمَجُّهُ الذوقُ ، ولا ينافي الأدبُ ، رفعتَ من منزلتك في
أعينِ الناسِ ، وتركتَ لمهابتك أثراً في نفوسهم .
وقد قيل : « حسن اللباس ، عنوان الأَكياس »

٢ - - إذا جاز للمرءَ التَّجَمُّلُ بالثيابِ ، والخروجُ الى
الناسِ في أحسنِ الهيئاتِ ، فليس من الفطنةِ مجاوزةُ
القدرةِ ، باقتناء الثيابِ الجامعةِ الى جمالِ الهندامِ ، غلاءِ
الثلثين .

فإنَّ أقلَّ ماوراء هذا السرفِ ، التعرّضُ للضيّقِ ،
والوقوعُ في أزمةِ الفقرِ .

على أنه يكفي المرءَ أن تكونَ ثيابهُ نظيفةً ، ليعدَّ
من المتجملين .

٣ - - وكما أنَّ من حسنِ الرأى ، اتقاءُ السرفِ في
الثيابِ ، من سلامةِ الذوقِ اجتنابُ التأنقِ فيها ، بما
يتعدّى الحُشمةَ ، وعدمُ اتخاذها آلةً للمباهاةِ والخيلاءِ .
فأنَّهُ لا يَلتمَسُ الفضيلةُ من لبسهِ ، إلا من يحسُّ

بالرذيلة من نفسه . وفي أولئك الذين يباهون بثيابهم ، قال
الشاعر :

يَا مَنْ تَلْبَسَ أَثْوَابًا يَتِيَهُ بِهَا
تِيَهُ الْمُلُوكِ عَلَى بَعْضِ الْمَسَاكِينِ
مَاغِيرَ الْجَلِّ (١) أَخْلَاقَ الْحَمِيرِ وَلَا
نَقْشُ الْبِرَازِغِ أَخْلَاقَ الْبِرَازِينِ (٢)

٤ — يُرَاعَى فِي اقْتِنَاءِ الثِّيَابِ أَنْ تَكُونَ مَلَأْمَةً لثَرْوَةِ
الْمَرْءِ ، وَمُوَافَقَةً فِي زِيَّهَا لِسُنَّةِ ، وَمِهْنَتِهِ ، وَافْصُولِ السَّنَةِ
الَّتِي تَتَقَلَّبُ عَلَيْهِ .

وَإِذَا دَعَتْ حَرَارَةُ الصَّيْفِ ، إِلَى لِبْسِ الثِّيَابِ
الْخَفِيفَةِ ، فَلْيُرَاعَ فِيهَا الْكَمَالُ ، إِذْ لَا يَلَائِمُ الْإِحْتِشَامُ ،
أَنْ يَسِيرَ الْإِنْسَانُ فِي الطَّرِيقِ عَارِي الذَّرَاعَيْنِ أَوْ الصَّدْرِ
أَوْ الظَّهِيرِ مَثَلًا .

٥ — حَافِظُ ، مَا أَمْكَنَ ، عَلَى الْمَشَاكِلَةِ بَيْنَ أَلْوَانِ
الثِّيَابِ ، وَالتَّوْفِيقِ بَيْنَ أَجْزَائِهَا .

(١) الْجَلُّ مَا تَلْبَسُهُ الدَّابَّةُ لِتَصَانَ بِهَا (٢) الْبِرَازِينِ جَمْعُ بَرَزُونٍ وَهُوَ الدَّابَّةُ

فلا تتخذها مبرقة^(١) بالألوان المتنافرة في
الذوق السليم ، ولا مؤلفة من رثٍ وجديدٍ ، ولا من
طويلٍ وقصير . ولا مفصلة على زى^(٢) من الأزياء
الحديثة ، ما لم تتفق عليه الأذواق ، ولا يُنافى الكمال
والوقار .

٦ — صنّ ثيابك مما يحدثُ فيها من بُقع الزيت
والبيض والقهوة والزبدة ، وحافظ عليها من سرعة
البلى والتمزق ، بالترفق في طيها ، ووضعها في المكان
الخاص بها كلما خلعتها^(٣)

٧ — لا تجعل ثيابك طويلةً تجرّ رأذيها^(٤) ؛ ففي
تطويل الذيل تلفٌ للمال ، بشراء ما يزيد عن الحاجة من

(١) من رقص خلط في اللون . ومنه تبرقش أى زين بالألوان المختلفة ،
ومنه أو براقش طائر صغير يتغير لون ريشه ألواناً شتى

(٢) الزى بالكسر الهيئة والنكل نقول « زى الشرق مخالف لزي الغربى »
وقد اتفق الكتاب المصريون على استعمال هذه الكلمة فيما تؤدبه عند
الاروبيين ، كلمة (المودة) من المنى

(٣) قال أبو جعفر . « طى الثياب راحتها وابقاؤها »

(٤) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اسبال القميص والأزار حيث قال :

« من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله له يوم القيامة »

النسيج (القماش) ، وإضراراً للصحة . بما يلتصق به من
قدَر الطريق .

وقد أدركت هذه الحقيقةَ باديةً فينا (١) ، فسنت
قانوناً يعاقبُ السيداتِ اللاتي يسجنن أذيالهنَّ في
الطريق ، بعد أن اتضح لها بالتحليل الكيميائي ، أن
هذه الأذيال ، تحملُ جراثيم الأمراض القتالة .
ورأى على (رضي الله عنه) رجلاً يجرّ إزاره ،
فضربه بمخصرة (٢) كانت في يده . وقال له : « ارفعْ
إزارك لا تأكله الأرض » .

٨ — يعتمدُ بعضُ السيداتِ في منازلهنَّ ، لبسَ
الثيابِ الرثة ، والجلايب التي لا يليقُ البروزُ فيها .
فيكونُ هذا الأهمالُ ، سببَ تعريضهنَّ لاحتقارِ الخدمِ
والأطفال ، وكرهيةِ الأزواج ، وهو ما ينبغي لهنَّ اجتنابهُ .

(١) فينا عاصمة النمسا بالقرب من نهر الدانوب . عدد سكانها ١٦٧٤٩٦٠ نسمة ومحيطها ٣٠ كيلو متراً

(٢) المخصرة بكسر الميم ما يتوكأ عليه كالهصاء ونحوه . وهي أيضاً القضيب الذي يشير به الخطيب إلى الناس إذا خطب . وكان عبد الله بن أنيس يسمى بهذا المخصرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه مخصرة

كما لا يجبُ عليهنَّ أيضاً التبرُّجُ (١) في الطرقاتِ ،
لأنَّ زينةَ النساءِ لا تكونُ إلا داخلَ منازلهنَّ .

٩ — من السرفِ المذمومِ في التَّجَمُّلِ ، بل من
دلائلِ التَّجَرُّدِ من الذَّوقِ ، أنْ تَحْتَمَ المرأةُ بالخواتمِ ، في
جميعِ أصابعها ، وبالأَساورِ الكثيرةِ ، في جزءٍ كبيرٍ من
ساعديها .

فإن خاتماً واحداً ، في إصبعٍ واحدٍ ، وسوارين في
المعصمين ، أظهرُ لزيئتها من إخفاء تلك الأعضاء ، تحت
الذهبِ والماسِ .

أما الرجلُ فالأليقُ به ، إنْ تحتم ، ألاَّ يزيدَ عن خاتمٍ
واحدٍ ، في خنصرِ يدهِ اليمنى .

١٠ — أجلُ حليَّةٍ لأذنِ المرأةِ ، القرطُ الخفيفُ
الذي إذا عُلِقَ بشحمةِ الأذنِ ، لا يؤلمها ، ولا يمدِّدها
فيشوّهها .

(١) التبرج من تهرجت المرأة إذا أظهرت زينة لرجال

١١ — احرص على نظافة الحذاء ، باجتناب القدر
في الطريق ، ولا تزُرْ غيرك وأنت عالمٌ بقدره ، أو
بأنه مكتسٍ بالعشر ، بل نظفه عند مسح الأحذية ،
أو في أداغ التنظيف إذا كنت تعلم أن بياض المزور
واحدة منها .

١٢ — لاستجادة الحذاء ، دخل في وقاية البدن من
بعض الأمراض .

وأول ما ينبغي لك رعايته فيه ، ألا تتخذنه مدبب
الأطراف ، يصيبك بمسار القدم ، ويحدث التفلع^(١)
الموجب للنتن بين الأصابع ، ولا واسعاً غليظاً ، تسمع له
قرقة أثناء السير .

ويحسن أن يكون واطئ الكعب ، لاسيما للمرأة ،
لأن الأحذية العالية الكعب ، تصيب أعضاءهن بالضرر .
وهذه (ماري كريستين) والددة ملك إسبانيا الحالى ،
لاتأنف لكبر قدميها ، من لبس الأحذية الكبيرة ، التي

(١) التفلع أو الشقوق في القدم من فقع بمعنى ثقب أو قطع

فيها راحتها . ومن نساء إنكثرا ، من تكونُ على جمالٍ رائعٍ ، ويتوقفُ كمالُ جمالها على صغرِ قدميها ، ثم هي لا تلبسُ إلا الأحذيةَ الموافقةَ لهما .

وإذا كانَ من العيبِ والفظةِ ، لبسِ القبقابِ والمنقلين^(١) ، لغيرِ الغرضِ المقصودِ منهما بداخلِ البيتِ ، فمن علاماتِ التجردِ من الذوقِ والفطنةِ ، لبسهما والجلوسُ بهما أمامَ البابِ .

١٣ — الواجبُ في لبسِ القلنسوةِ^(٢) ، طربوشاً كانت أو عمامةً ، ألا تكونَ صغيرةً لا تغطي الرأسَ ، ولا كبيرةً تحتوى الأذنينِ وتبتلعُ الوجهَ ، بل وسطاً بينَ ذلكَ ، يرتكزُ مقدمها من الأمامِ على أعلا الجبهةِ ، ومؤخرها على الطرفِ الخلفي من الرأسِ .

١٤ — الوضعُ المناسبُ للطربوشِ أو العمامةِ على الرأسِ ، الاستواءُ بلاميلٍ محسوسٍ إلى أحدِ الجانبينِ ،

(١) المنقلان من نقل بمعنى الخُف أو الشبشب
(٢) القلنسوة جمع قُلانس وقُلانيس ما يلبس في الرأس . وقُلانس لبس القلنسوة

مع رعاية جعل الزرّين الكتفين ، وجعل العمامة بارتفاع
واحدٍ وسمكٍ واحدٍ .

١٥ — إذا كان لا يلائم الذوق ، أن يتخذ اللابس
طربوشاً ضيقاً ، ويعطى له الأوضاع المنحرفة فوق رأسه ،
فمن الابتذال المزدول ، جعل العمامة حوله في منتهى
العرض من جهة ، وقصارى الرقة من الجهة المقابلة لها ،
كما يعمل بعض متظرفي المعممين .
وبالجملة ، فالتصرّف في لبس القلنسوة ، بما يفيد أنها
جعلت للزينة والبهرجة ، لا لستر الرأس ، ووقايته من
أعراض الجو ، انتقال من الحشمة الى الابتذال .

١٦ — لا يغنى للمرء عن المنديل في حله وترحاله ،
ونومه ويقظته ، ليكون في متناول يده عند الحاجة .
وعادة الياباني ، أن يحمل طائفة من المناديل المتخذة
من ورق الأرز ؛ لأنه لا يستعمل المنديل الواحد إلا
مرة واحدة ، اجتناباً للقذر ، ومنعاً للعدوى .

أما في بلادنا ، فيحسنُ أن يحملَ المرءُ منديلين ،
أحدهما للاستعمال فيما يستقذرُ ، كتنظيف الحذاء ،
والآخر لغيره ، كتنظيف العين أو الوجه .
ولا يصحُّ إبرازُ المنديل من الجيب ، كما لا يليقُ
أن يكونَ من النسيجِ الثمينِ ، لا سيما في يد الرجلِ .

• آداب النوم واليقظة •

١ — في النومِ راحةُ البدنِ ، وتعويضُ ما فقدتهُ
الأعضاءُ من القوةِ في النهار ، فيجبُ على الإنسانِ أن
يستوفي قسطهُ منه ، بشرط ألا يذهبَ فيه إلى ما يؤذي
الجسمَ ، ويحولُ دونَ القيامِ بالواجبِ .
والزَّمنُ الكافي لأتالةِ الجسمِ راحتهُ بالنومِ ، سبعُ
ساعاتٍ كاملةٍ ، على ما قرَّره علماءُ الصحةِ ، ما لم يكنِ
الإنسانُ مريضاً ، أو به تعبٌ شديدٌ .

٢ — من بواعثِ حسنِ الصحةِ ، تعودُ التبكيرِ

بالنوم واليقظة . ولا تكتسب هذه العادة ، إلا بتحديد
المواقيت لهما .

فرتب إذا هذه المواقيت لنفسك ، بحيث لا تكون
قبل غروب الشمس للنوم ، ولا بعد شروقها لليقظة .
واعلم أن شروق الشمس في كل صباح ، منبه طبيعي
ينبهك الى ضرورة نهوضك لمزاولة عملك .

كان أرسطو (١) الفيلسوف ثقيل النوم ، مع ولعه
بالمطالعة والدرس ، فكان خوفه من غلبة النوم عليه ،
حيث يجب العمل ، يتخذ طستاً من نحاس بجانب سريره ،
فاذا أخذ مضجعه ، أخرج يده ممسكاً بها ككرة من
الحديد ، فكان كلما غلبه النوم ، سقطت الكرة من
يده في الطست ، فيستيقظ لوقته من صوتها الرنان .

٣ — لا بأس من السهر أحياناً بشرط الاعتدال ، إذا

(١) أرسطو ويسمى أيضاً أرسطاطاليس أحد فلاسفة اليونان ولد بمقدونيا
سنة ٣٨٤ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ وعمره ٦٢ سنة وكان تلميذاً لأفلاطون
ثم انفصل عنه وجمع شوارد العلوم في الطبيعيات والرياضيات وما وراءها في
أسفار كثيرة ترجمت الى اللغة الفرنسية في ٣٥ مجلداً وسبق للعرب ان ترجموا
بعضها . وهو معلم أسكندر الأكبر المقدوني مؤسس الاسكندرية .

قضت به ضرورة الاشتغال بعمل نافع ، كذاكرة
الدّرس ، والمسامرة فيما يفيد ، والترويح عن النفس باجتلاء
مناظر الطبيعة في الليالي القمرية ، وحضور تمثيل الروايات
المهذّبة .

أما قضاء الليل في المقامرة ، أو فيما يماثل حفلات
الأفراح والموالد ، فإنه فضلاً عن ضرره البالغ بالمرء ،
حساً ومعنى ، يناق مصلحة الاجتماع والعمران ، بما يجر
إليه من تضييع الوقت ، فيما يضر كثيراً ، ولا ينفع قليلاً .

٤ — الغرض من فراش النوم ، طلب الراحة للبدن
بالرقاد عليه ، فكل عمل عمله وأنت فيه ، كالقراءة
والكتابة ، والأكل والشرب ، يكون من وضع الشيء
في غير موضعه .

والقاعدة ألا ينام في كل فراش ، أكثر من
واحد صوتاً لصحته ، واتقاء للضرر الذي ينتج من
اختلاط الأنفاس .

٥ — على الولد البارِ بوالديه ، أن يقصدهما قبل نومه ، وبعد استيقاظه ليحييهما ، ويطلق لسانه بالدعوات الصالحات لهما .

وتستحسن هذه العادة من جميع أفراد الأسرة بعضهم نحو بعض .

إذ يجملُ بمن حسنت تربيتهُم ، ألا يفترقوا للنوم ، ولا يجتمعوا بعده ، عن سكوت وتناكر ، كأن لم تكن بينهم صلة من صلوات القرابة والمعرفة .

٦ — يجملُ بالمرء ، إذا هرع للنوم ، أن يذكر أنه مقبلٌ على حالة يكون فيها بلا فرق بينه وبين الموتى ، وأن يطرح أمامه صحيفة عمله في يومه ؛ فأَن كان ما فيها خيراً ، حمد الله عليه ، وعاهد نفسه على المزيد منه ، وإذا كان شراً ، تضرع إليه تعالى ، بطلب المغفرة عن ذنبه .

فإن محاسبة المرء نفسه ، على ما كسب لها واكتسب عليها ، في أمور دينه ودنياه ، أدعى إلى توطيد قدمه في

الخير ، ووقايته من الشر .

وجديرٌ بمن حاسب نفسه ، فرأى منها ما يرضيه ،
أن ينامَ نوماً هادئاً لا انزعاج فيه (١) .

٧ — مما يقتضيه حفظُ الصحة ، أن يتخذَ المرءُ
لنفسه لباساً خاصاً بالنوم ، يجب أن يكون بحيثُ يسترِجُ
فيه الجسمُ ، على شرطِ موافقته للحشمة .
ومفهومٌ أن هذا اللباسَ ، يلبسه صاحبه ويخلعه في
خلوته ، بدون أن يستعينَ بأحدٍ .

﴿ آدابُ الطعامِ والشرابِ ﴾

١ — لا يكونُ الغذاءُ نافعاً للجسم ، إلا بالاعتدال
فيه ، وعدمِ الخروجِ منه إلى التخمّة المهلكة ، التي وردتْ
في التحذيرِ منها آية : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا »

(١) إذا استثمرَ الإنسانُ النومَ بحسن به أن يقول : « باسمك ربّي وضعتُ
جنبي ، وبك أرفعه ، أن أمسكتَ نَمِيّ فَارَحَها ، وأن أرسلتها فأحفظها بما تحفظ
به عبادك الصالحين » وأن يقول إذا استيقظ « الحمد لله الذي أحياها بعد أن
أماتنا وله النشور » وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول ذلك عند نومه وبقظته

وحديثُ : « لا تَمِتُوا القلوبَ بكثرةِ الطعامِ والشرابِ ،
فإنَّ القلبَ كالزَّرْعِ يَمُوتُ إذا كَثُرَ عليه الماءُ »
وحدَّثَ الاعتدالَ في الغذاء ، ما بينه رسولُ الله عليه
الصلاة والسلام ، حينما بعثَ المقوقس ^(١) إليه هديةً
وطيباً ، فقبلَ الهديةَ وردَّ الطيبَ ، حيثُ قال : « نحنُ
قومٌ لا نأكلُ حتى نجوعَ ، وإذا أكلنا لا نشبعُ » أى
لا نبلغُ من الأكلِ الحدَّ الذى نشبعُ فيه .

٢ — من أهمِّ وسائلِ الاحتفاظِ بالصحةِ ، تحديدُ
مواقيتِ الطعامِ ، والحرصُ عليها ، فإنَّ تحديدها يقي
الإنسانَ شرَّ إدخالِ الطعامِ على الطعامِ ، الذى قال فيه
الرئيسُ على بن سينا ^(٢) : « إحدِرْ طعاماً قبلَ هضمِ

(١) المقوقس لقب كان يطلق على حكام مصر من قبل دولة الروم ومعناه باليونانية « الحاكم » والمقوقس الذى أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية وطيباً هو جورج بن مينا حاكم مصر من قبل الملك هرقل وكان العرب سمّوه «عظيم القبط» وهو يونانى الأصل إلا أنه كان كثير المطف على الاقباط
(٢) ابن سينا المعروف عند الافرنج بأسم افيسين هو أبو على الحسين الشيخ الرئيس ولد (سنة ٣٧٠ هجرية - ٩٨٠ ميلادية) وتوفي (سنة ٤٢٨ هجرية - ١٠٣٦ ميلادية) قرأ كتب المنطق والطبيعى والرياضى والطب ومعرفة العلماء وعمل في السنة السادسة عشرة من عمره . ثم قرأ العلم الإلهى وما بعد =

طعام » ، وأجمعَ علماء الطبِّ على أنه من الأعراضِ القتالة للمرء .

وكفى من يدخلُ الطعامَ على الطعامِ خزيًا ، أنه « يعيشُ ليأكلَ ، لا يأكلُ ليعيشَ » كالحوانات السائمة ، في المرعى الخصبِ .

٣ — إذا كان من الشره ، أن يأكل المرء فوق حاجته ، أو كلما سوّلت له نفسه ، غير مقيدٍ بميعادٍ محدودٍ ، فمن الشره المقرون بالسرف والحمق ، أن يطيع شهوات بطنه ويلبى نداءه ، فيأكل كل ما يقع إليه ، وينفق في هذا السبيل ، ما استطاع من مال .

سئل أحد ملوك الروم : « ماتعدون الأحمق فيكم ؟ » فأجاب : « الذي يملأ بطنه من كل ما وجد »
نخلاق بمن يعلم أن المعدة بيت الداء ، ألا يسوق إليها من مواد الغذاء المتنوعة ، ما يجعله رهين الأمراض

الطبيعة فأنى عليهما في الزامه عشرة . ومن مصنفاته كتاب القانون والشفاء والنجاة في الطب . وقد ترجم القانون إلى الفرنسية وكان يدرس بجامعة مونبلييه إلى أواخر القرن الثامن عشر وكانت وفاته بهمدان

والأسقام .

٤ — من النصائح الجامعة لنظام التغذية ، قولُ
أبي عثمان الثوري لابنه : « أى بنى ! عودُ نفسك
مجاهدة الهوى والشهوة : فلا تنهش نهش السباع ، ولا
تخضم ^(١) خضم البراذين ، ولا تدمن الأكل إدمان
النعاج ، ولا تلقم ^(٢) لقم الجمال ، فإن الله جعلك إنساناً ،
فلا تجعل نفسك بهيمة . واحذر سرعة الكظة ^(٣) ،
وسرف البطننة ^(٤) ، فقد قال بعض الحكماء : إذا
كنت نهماً ^(٥) فقد نفسك من الزمنى ^(٦) .

وأعلم أن الشبع داع إلى البشم ^(٧) ، والبشم داع
إلى السقم ، والسقم رسول الموت . ومن مات هذه
الميتة ، فقد مات ميتة ليثة ، لأنه قاتل نفسه ، وقاتل

-
- (١) من خضم أكل بأقصى الأضراس مع مجموع النعم
(٢) من أقم أكل وابتلع بسرعة
(٣) الكظة من كظ ملأ الآاء ومعناه امتلاء المعدة بالأكل
(٤) البطننة هي والكظة سواء
(٥) النهم هو المفرط في الطعام
(٦) الزمنى هم المبتلون بالأمراض (٧) البشم هو التخمعة

نفسه ألامٌ من قاتلٍ غيره .

« أَى بنى : قد بلغتُ تسعينَ عاماً ، ما تقصتُ لى سنٌ ، ولا انقشرَ (١) لى عصبٌ ، ولا عرفتُ دينَ (٢) أنف ، ولا سيلانَ (٣) عينٍ ، ولا سلسَ (٤) بولٍ ، ما لذلكَ علةٌ إلاَّ التخفيفُ من الزادِ ، فإذا كنتَ تحبُّ الحياةَ ، فهذا سبيلُ الحياةِ »

٦ — أَرَأَيْتَ ذلِكَ الذى يتحينُ أوقاتَ الطعامِ عندَ جيرانه ، أو الذين لهم بهِ صلةٌ معرفةٌ ، فينسأبُ اليهم على غرّةٍ منهم ؟ أو ذلِكَ الذى يجوسُ خلالَ الديارِ ، ارتياداً لولائمِ الأفراحِ ، كى يندسَّ بين المدعوين ؟

ذلِكَ هو الطفيلُ الساقطُ الهمةُ ، الصغيرُ النفسُ ، الذى يعرضُ كرامتهُ للامتهانِ ، لأنَّهُ مع قدرتهِ على إرضاءِ بطنهِ بشهىِ الطعامِ ، يفضلُ أن يكونَ امتلاؤه

(١) انقشر بمعنى انسحق وتجرد من غشائه

(٢) دين الأنف نوع من التزيف

(٣) السيلان من سأل جرء وسيلان العين جريان ما بها

(٤) سلس البول هو أن لا يتمسكه الانسان فيخرج في غير ميعاده

به من مائدة الغير بما ركز في طبعه من الطمع والبخل .
وغشيانُ الناسِ على موائدهم ، من المذموماتِ المحرّمة
في جميع الشرائع . وقد ورد فيه حديثٌ : « من مشى
إلى طعامٍ لم يدعِ اليه ، مشى فاسقاً ، وأكلَ حراماً » .

٧ - لا ريبَ أنَّ الطعامَ يكونُ شهياً ، إذا دارَ
الكلامُ أثناءَهُ ، على ما يكونُ فيه بسطُ النفسِ ، وانشراحُ
الصدرِ .

فما يحسنُ توجيهَ النظرِ اليه . اجتنابُ الأحاديثِ
المهيجةِ للانفعالاتِ النفسيةِ على الطعامِ . كالمناقشاتِ
السياسيةِ والدينيةِ ، والمباحثاتِ العلميةِ العويصةِ ، لأنها
تهيجُ تلكَ الانفعالاتِ ، فينشأ عنها عسرُ الهضمِ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحدّثوا على
الطعامِ ولو بثمانِ أسلحتكم » . ذلكَ لأنَّ الحديثَ على
الطعامِ ، فيما لا يثيرُ الخواطرَ من الموضوعاتِ ، أدعى الى
كثرةِ المضغِ ، فسرعةِ الهضمِ .

وكان المستر غلادستون ^(١) يقول : « ما استطعتُ
المثابرة على العمل ، وقد تجاوزتُ الثمانينَ من العمر ، إلا
برعاية ثلاثة أمور : التخلي عن كلِّ عملٍ يومَ الأحد ،
وإصلاحى أرضَ حديقتي يدي ، والكلام على الطعام ،
بحيثُ أمضغُ كلَّ لقمةٍ ثلاثينَ مرَّةً » ^(٢)

٨ — من الشرائع المحمودَةِ ، تضرُّعُ المرءِ الى الله
سبحانه وتعالى ، ولو في نفسه ، كلما جلسَ الى الطعام ،
بأن يديمَ إسباغَ هذه النعمةِ عليه ، وأن يباركَ له في رزقه .
وكما يبدأ الطعامَ بهذه الضراعةِ ، يختتمه بحمدِ الله
وشكره على نعمته ^(٣) .

(١) غلادستون هو وليم أيوارث ولد بلينبول سنة ١٨٠٩ وتوفى هواردن
سنة ١٨٩٨ ولي رئاسة الوزارة الانكليزية أربع مرات ثم اعتزل السياسة سنة
١٨٩٤ وفي وزارته الثانية من ١٨٨٠ — ١٨٨٥ احتل الانكليز مصر

(٢) ظهر بيلاد أمريكا أخيراً مذهب يسمى (فتشريسم) نسبة الى مؤسسه
المستر قلنشر . وهو يقضى على الأخذين به ازالة المضغ حتى يصير الطعام سائلاً
قبل ابتلاعه . وكان هذا الرجل مريضاً ومثيرة على الموت فحظر له أن يمضغ الطعام
هكذا ففجا من الموت وأسس هذا المذهب

(٣) كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول عند بدء الطعام « اللهم بارك
لنا فيما رزقنا وعلينا خبثه » وعند قيامه عنه : « اللهم اجعله هنيئاً مريضاً وأبقني
بعمه قائماً بشكرك محافظاً على طاعتك »

﴿ آداب الدعوة الى الوليمة ﴾

١ — ينبغي ألا يقصد الداعي بالدعوة الى الطعام ، حبّ الظهور والمباهاة ، بل توثيق المودة ، أو تكريم ذى فضل ، أو ما جرى هذا المجرى من الأغراض الحميدة . والدعوة تكون : إما باللسان ، وإما بالكتابة . فإذا كانت باللسان فليس الميعاد فيها بشرط ، لأنها إنما تكون بين أناس ارتفعت من بينهم الكلفة . لهذا لا يليق بالمدعو ، أن يجبه الداعي بالرفض ، ما لم يتسع له في ذلك صدر العذر .

وإذا كانت بالكتابة ، فمن الواجب المبادرة بالأجابة عليها ، إما قبولاً ، وإما رفضاً . وتكون الأجابة بالقبول مقرونة بالشكر ، وبالرفض متضمنة جمل الاعتذار . وحكمة المبادرة بالأجابة ، أن يتبين الداعي من أجابوا دعوته ، فيرتب المائدة ، ويهيئ الطعام بحسب عددهم . ومن الدعوة باللسان ، ما يكون وقوعه اتفاقاً ،

كأن يدعى أحدُ أصدقائك وأنت شاهدٌ ، فتدعى بحكم
التبعية . والواجبُ في هذه الحالةِ رفضُ الدعوةِ قطعاً .

٢ — من سلامةِ الذوقِ ، أن تجمعَ تذاكرُ الدَّعوةِ ،

إلى بساطةِ الشكلِ ، اختصارَ العبارةِ ، واقتصارَها
على ما يؤدّي بالدقةِ معنى الدَّعوةِ ، ومكانها ، وزمانها .

فيحسن إذاً أن تكونَ تلكَ التذاكرُ ، من الرقاعِ

المستطيلةِ الشكلِ ، المتوسطةِ الحجمِ ، الخاليةِ الحواشيِ

والأركانِ ، من آثارِ الذهبِ ، والرسومِ ، والرموزِ ، وأن

تطبعَ الحروفُ بالخبيرِ الأسودِ دونَ غيره .

كما أن الأليقَ في تحريرِ عبارتها ، البعدُ عن

الأسهابِ والتكلفِ ، فلا تصدّرُ بالأبياتِ الشعريةِ ، أو

الأحاديثِ النبويةِ ، ولا يفتحُ للسجعِ الباردِ في سطورها

مجال .

٣ — جرّى المصريون في دعواتهم ، على عاداتٍ ينبغى

لهم العدولُ عنها ، لمخالفتها أصولَ الآدابِ الاجتماعيةِ ،

ومنافاتها للعقل والذوق .

منها : أن يؤكّد الداعي ، أنه يدعوك لشرب قدح من القهوة ، فإذا هو قد أعدّ لك طعاماً وليةً ، وربما كنت قائماً عن مائدتك في هذه الساعة ، فيكون بمثابة من يدعوك الى إدخال الطعام على الطعام .

ومنها : الأكل كشارب من ألوان الطعام ، مع الانتقال فيها من الحامض الى الحلو ، ومن البارد الى الساخن ، ومن كلّ نقيض الى نقيضه .

ومنها : عدم التمييز في الدعوة بين المدعوين ، فترى المائدة الواحدة تجمع حولها ، مدعوين يختلفون في الأعمار ، والمقامات ، والصنائع ، ويجهل الجميع بعضهم البعض .

ومنها : تحديد ميقات الدعوة في الساعة العاشرة ، على الاصطلاح العربيّ نهائياً ، وليس هو ميقات طعام ، في اعتقاد الداعي ، لأنه لا يأمرُ بمدة الموائد فعلاً ، إلا بعد ذلك بثلاث ساعات .

وكفى هذه العادات حطة ، أنها مؤسسة على الكذب ، والسرف ، والجهل بالذوق والمناسبات .

٤ — من فطنة الدّاعى وكياسته ، ألا يدعو من يعلم أن الأجابة تشق عليه لسبب ما ، وألا يجمع حول مائدته إلا من تألفت طباعهم ، وتشابهت ميولهم ، ومذاهبهم ، حتى لا يتأذى بعضهم ببعض .

وليس للمدعو أن يميز الدّاعى الغنى بإجابة دعوته دون الفقير ، لأنه يخرج من هذا الاحتياط ، الى التكبر المذموم ^(١) .

٥ — للمدعو أن يرفض الدعوة التى يعلم أن سيكون فيها من أسباب الطرب واللهو ، ما لا يناسب مركزه ، ولا يتفق مع قواعد الدين والأدب .

٦ — ليس للمدعو أن يقترح على الدّاعى طعاماً بذاته ، أو يتحكم بطلبه .

(١) كان رسول الله صل الله عليه وسلم يحيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومرو الحسن بن على بقوم من المساكين يأكلون فسم عليهم فقالوا : « هلم الى النداء يا ابن بنت الرسول » فقال : « نعم ان الله لا يحب المستكبرين » ثم نزل وأكل معهم

فربما كان الاتفاقُ عليه فوقَ طاقته ، أو لم يكن
في بيته من يكونُ عالمًا بتهيئته .

وهذه العادةُ مستقبحةٌ ، وإن تكن مألوفةً في
الأقاليم ، والعدولُ عنها واجبٌ .

وإذا خيرَ الدَّاعِي مدعوَه بين طعامين ، فمن العفةِ
أن يتخيرَ المدعوُ أيسرَهما مؤنةً وأقلهما كلفةً

٧ — الميقاتُ المبينُ في تذكرةِ الدَّعوة . —
الجلوسُ الى المائدة ، والشروعُ في الأكل .

لذا يليقُ أن يكونَ تواردُ المدعوينَ ، في غضونِ
الخمسِ عشرةِ دقيقةِ السابقةِ عليه . لا قبلها ، خشيةَ أن
ينصرفَ الدَّاعِي عن الاهتمامِ بتدبيرِ المائدة ، الى الاحتفاءِ

٣٢٠

ويحسنُ ربَّ الدارِ ، خلالَ تلكِ الدَّقَائِقِ ، أن
يعرِّفَ المدعوينَ بعضهم ببعضٍ ، إذا اتفقَ أن منهم مَنْ
لم يرتبطوا برابطةِ التعارفِ ، لكي إذا قاموا الى المائدة ،
لا يكونَ إحجامٌ عن كلامٍ ، أو حياءٌ على طعامٍ .

ومتى دنا الميقات ، تقدم الداعي الى مدعويه ،
راجياً منهم أن ينهضوا الى الطعام .
ولا يليقُ بمدعو ، مهما يكن عذرُهُ ، أن يتأخر
دقيقةً واحدةً عن الميقات .

٨ - على الداعي أو من ينوب عنه ، تعيين المقاعد
للمدعوتين ، وعلى هؤلاء ألا يهتموا بالأماكن المخصصة
لهم ، إذا كانت معينة من قبل بأسمائهم .
وترتيبُ الجالوس على المائدة ، أن يتوسطها الداعي ،
ويجلسَ تجاهه أكبرُ المدعوتين شأنًا ، أو الذي لأجله
أقيمتُ المأدبة ، ثم يتلوها بترتيب الأقدار ، من يجلسُ الى
يمين الأول ، ثم من يجلسُ الى يمين الثاني ، ثم من يجلسُ
الى يسار الأول ، ثم من يجلسُ الى يسار الثاني ، ثم من
يامنَ الجالس الى يمين الأول ، فمن يامنَ الجالس الى يمين
الثاني ، ثم من ياسرَ الجالس الى يسار الأول ، فمن ياسر
الجالس الى يسار الثاني ، وهكذا .

﴿الآداب الواجبة على المائدة﴾

١ - من أدب أوضاع الجسم ، إذا أخذ المدعو مكانه من المائدة ، أن يكون في استقامة ، فلا يكب به الى الأمام ، ولا يرمى به الى الخلف ، ولا يولى ظهره الى أحد الجالسين يمينه أو يساره ، ليقبل بوجهه على الآخر ، إذ الواجب لفت الرأس فقط يمنة أو يسرة . تبعاً حاجة الحديث .

وليس له أن يستند بالمرفقين على حافة المائدة ، بل بمعصمى اليدين فقط ، كما لا يليق الانسحاب أثناء الطعام ، إلا لعذر بين ، يسر به في أذن الداعي وفي هذه الحالة يحسن ألا يستفسر أحد عن سبب انصراف ذلك المدعو فجأة .

٢ - يطرح المنديل على الفخذين . ولا يناط بالرقبة ولا بثنيات الثياب . وفي نهاية الطعام يجعل الى جانب الصحفة ، بحيث لا يشغل مكاناً كبيراً . وينبغي إذا

وَضَعِ لِلْأَطْفَالِ أَنْ يَغْطِيَ صُدُورَهُمْ ، وَقَايَةَ الْمَلَابِسِ .
وَإِذَا كَانَ الْغَرَضُ مِنَ الْمُنْدِيلِ وَقَايَةَ الْمَلَابِسِ مِنَ
الْقَذَرِ ، وَمَسَحِ الشَّفَتَيْنِ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، فَمِنَ الْمُسْتَقْدَرِ اسْتِعْمَالُهُ
فِي مَسْحِ الْوَجْهِ ، أَوْ أَعْضَائِهِ .

٣ — لَا يَحْسُنُ بِمَدْعُوٍّ ، أَنْ يَقْلِبَ أَدَوَاتِ الْأَكْلِ أَثْنَاءَ
الطَّعَامِ ، أَوْ يَطِيلَ فِيهَا النَّظَرَ ، أَوْ يَقْرَأَ الْكِتَابَةَ الَّتِي عَلَيْهَا ،
كَأَنَّهَا كَانَتْ فَاقِدَةً ، وَظَفَرَ بِهَا .

٤ — إِذَا فَرَطَ مِنَ الْخَادِمِ خَطَأٌ أَوْ تَقْصِيرٌ ، فِي الْخِدْمَةِ ،
فَمِنَ الصَّوَابِ أَلَّا يُؤَاخِذَهُ مَوْلَاهُ عَلَيْهِ جَهْرًا ، وَإِنَّمَا يَنْبِئُهُ
إِلَى إِصْلَاحِ خَطَأِهِ ، بِلُطْفٍ وَبِدُونِ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ أَحَدٌ .
وَلَهُ بَعْدَ انْصِرَافِ الْمَدْعُوِّينَ ، أَنْ يَعْزِرَهُ مَا شَاءَ ،
فَيَتَّقَى بِهَذَا الْاِحْتِيَاظِ ، مَا يَحْتَمِلُ وَقُوعُهُ مِنْ سُوءِ أَدَبِ
الْخَادِمِ ، قَوْلًا أَوْ فِعْلًا .

٥ — يَعْرِفُ الْحَسَاءُ ^(١) ، وَتَوْضَعُ صَحَافُهُ عَلَى الْمَائِدَةِ ،

(١) الْحَسَاءُ هُوَ الشُّورْبَةُ

قبل جلوس المدعوين ، بشرط ألا يتجاوزَ ملء مغرفةٍ كبيرةٍ ، وإلا ملأ المعدة ، وحال دون تناول الألوان التالية .

ولا تصح إعادة الطلب منه ، وإذا بقي بعضه في قاع الصحفة ، وتمذرتناوله بالملقعة ، فمن حطة النفس التحيلُ على إصابة هذه البقية ، بإمالة الصحفة ، أو بسكب ما فيها في الملقعة .

وتترك الملقعة في الصحفة ، بعد تناول ما فيها .
ويحسن في شرب الحساء ، أن يكون من جانب الملقعة ، وألا يمتص مصاً .

٦ — يبدأ بتقديم الطعام الى الجالس يمين الداعي ، ثم الى الجالس يساره ، ثم الى الجالس يمين الاول ، ثم الى الجالس يسار الثاني ، وهكذا بالتناوب .

ولا يقدم الى رب الدار إلا في آخر الجميع .
ذلك إذا لم يكن هناك مدعو مقصود إكرامه بالذات ، فإذا وُجد ، وكان الجلوس بحسب المقام

وخطورة الشأن ، كان تقديم الطعام الى المدعوين ، تابعاً لمقاماتهم (راجع الفقرة الثامنة من الباب المتقدم) .
وتقدم الاطباق التي يأخذ المدعوون منها حاجتهم ، من جانبهم الأيسر ، ولا بأس من إعادة عرض كل لون ثانياً عليهم ، وإنما يكون من حسن الذوق ، التلطف في الامتناع .

٧ — من القواعد المألوفة تغيير المدى والأشواك عند كل لون ، لكن لا بأس من إغفال هذه القاعدة ، على موائد متوسطة الحال ، وغير القادرين على اقتناء أدوات الأكل الكثيرة ، إذ يكفي استعمال سكين واحدة ، لكل آكل ، ما لم يكن ضمن الألوان سمك ، إذا ينبغي تخصيص مديّة وشوكة لأكله .

٨ — مما ينافي الذوق ، أن يجذب الداعي طاهيه ، وأن يذكر أنه أنفق كذا وكذا على الطعام ، وزخرفة المائدة .

ومما تأباه نفسُ الكريمِ ، إذا لحظَ تقصيراً في
الخدمةِ ، أو نقصاً في تهئيةِ الألوانِ . التورطُ في قولٍ أو
فعلٍ ، يقصد بهما إعلانَ درايتهِ بهذا النقصِ .

٩ — من أماراتِ حبِّ الذاتِ ، استئثارُ المدعوِّ
بأحدِ آنيةِ الطعامِ العامةِ ، كآنيةِ الملحِ والفلفلِ .
لذلك يجدُّ به ، إذا أخذ حاجته منه ، أن يجعله في
موضعٍ تصلُ إليه أيدي بقيةِ المدعوِّين .

وعلى الأصغرِ سنّاً في موائدِ الطعامِ ، أن يلحظَ بعينِ
رعايتهِ الشيوخَ وأصحابِ المكانةِ في العلمِ والرياسةِ ، ويتطوعَ
لقضاءِ ما يريدونه ، بلا تكلفٍ في ذلك ولا رياء . ولا شكَّ أن
هؤلاء ، يعرفون له حقَّ هذه الكرامةِ ، بالشكر والامتنان .
دعا هارونُ الرشيدُ (١) يوماً أبا معاويةَ الضميرَ ،

(١) أبو محمد وقيل أبو جعفر هارون بن محمد المهدي هو خامس الخلفاء
من العباسيين ، بويع له (سنة ١٧٠ هجرية — ٧٨٦ ميلادية) وتوفي سنة ١٩٣
هجرية — ٨٠٩ ميلادية) ارتقت في أيامه الآداب والعلوم بما منحه من الحماية
والرعاية لأربابها . وكان سمحاً شجاعاً كثير الحجج والغزو حجج في خلافته ثمانى
وقيل تسع حجج وغزا ثمانى غزوات . وفي خلافته توفي مالك بن أنس صاحب
مذهب مالك . ووزراؤه يحيى بن خالد بن برمك وابناه جعفر والفضل وقد نكحهم
سنة ١٨٩ هجرية

فصبَّ الرشيدُ الماءَ على يدهِ في الطستِ ؛ فلما فرغ قال :
يا أبا معاوية ، أتدري من صبَّ الماءَ على يدِكَ ؟ قال : لا .
قال : صبهُ أميرُ المؤمنين . قال : يا أميرَ المؤمنين إنما
أكرمتَ العلمَ وأجللته ، فأجلكَ الله كما أجلتَ العلمَ وأهله .
١٠ لا يحسنُ بمدعوٍ ، تحديقُ النظرِ في بقيةِ المدعويين
وهم يأكلون ، لكيلا يخجلوا ، أو فيما بين أيديهم ، من
أطباقِ الفاكهةِ والحلوى ، كما لو كان يرومُ الاختصاصَ
بها من دونهم .

وإذا عرضَ جارهُ عليه ، مشاركتهُ في طعامه ،
فعفةُ النفسِ تقضى بالامتناعِ ، ولو لجَّ الطالبُ .

١١ — خليقٌ بالمدعو أن يجرى على المعتادِ في أكله ،
فلا ينقصُ من عادته حين يأكلُ وحدهُ ، وإلا كان
إقلاله من الطعامِ عندَ الاجتماعِ ، تصنعاً ورياءً .

وأثقلُ الضيوفِ من يحوجُ غيرهُ الى تعهدهِ في
الأكلِ .

١٢ - إذا عرض على مدعوٍ صنفٌ من الطعام ،
ليأخذَ منه حاجتهُ ، وكانَ هذا الصنفُ مما تأباهُ شهيتهُ ،
وترفضهُ معدتهُ ، فيحسنُ به التلطفُ في الاعتذارِ عندَ
الامتناعِ ، وعدمُ ذكرِ أسبابِ الرِّفضِ كائنة ما كانت .
دُعِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرةً ، فقدمَ إليه
ضَبٌّ^(١) مشوىٌ فعاقتهُ^(٢) نفسه . ولكنه لم يفضهِ
للداعين ، فقالوا : أَوْ حرامٌ أكله يا رسولَ الله ؟ قال : لا
ولكنه ليسَ من طعامي فكلوه وهو حلالٌ .

١٣ - إذا تناولَ المدعوُ طعاماً شديداً الحرارة ،
أو لم يألفَ طعمه ، ثمَّ لم يجدْ بداً من لفظه ، فمن حسنِ
الاحتياطِ ، أن يرفعَ الصحيفةَ إلى فيه ويلفظه فيها ، ثم يبادرُ
بتسليمها إلى خديم السَّمِاطِ^(٣) .

وإذا كانَ الشيءُ المرادُ لفظه قطعةً عظمٍ ، أو بذرةً

(١) الضب حيوان دون المنزة جمه ضباب وأضب

(٢) عاف الرجل الطعام والشراب بعاة عيافة كرهه

(٣) خديم السَّمِاط هو الخادم الذي يتولى ترتيب الطعام وتقديمه للمدعوين

والسَّمِاط هو مائدة الطعام

فاكبة، أو غير ذلك مما يتفق وجوده في الغذاء أحياناً،
فلا بأس من تلقيه في الكف، بحيث لا يشعر الحاضرون.
١٤ — إذا رأى المدعو في الطعام شيئاً تضطرب
منه النفس، فمن سلامة الذوق وحسن التسامح، التفاضى
عنه، حتى لا يخجل صاحب الضيافة، أو يتنبه المدعوون،
فينالهم من تفرز النفس ماناله، أو يقعوا في خطيئة
الانتقاد.

١٥ — لا يليق بالأدب، أن يأكل المدعو الخبز
وبيده سكين أو شوكة، أو يملأ المعلقة بالحساء حتى
الحافة، أو يمسك الشوكة يسراه حين لا حاجة له بقطع
اللحم، أو يأخذ الملح بيد الشوكة أو المعلقة، أو يستعمل
بعض أدوات المائدة لغير ما جعلت له، كأن يأخذ
المطعومات الجامدة بما تؤخذ به المطعومات السائلة،
والعكس بالعكس، أو يكسر الخبز بالمديعة دون أصابع اليد.
١٦ — إذا علق باليد دسم أو وضر^(١)، فمن حطة

(١) الوضر أثر المطعومات كالسك واللحم الخ في اليد

النفس مسحها في خوان السفرّة ، وإنما تمسح اليد في منديل الطعام ، ولا يليق تنفيضها في الصحفة ، أو تنفيض المنديل فيها من فتات الطعام وبقاياها .

ولا يتفق مع النظافة تسخير الأصابع في أكل اللحم بدلاً عن الشوكة ، وإنما إذا كان اللحم من الشراسيف^(١) أو الطيور ، يجوز إمساكه بالأظفار من أطراف العظم والأكل منه ، مع اجتناب بواعث القذر .

والعظام التي تجرد من اللحم : يضعها الآكل على حافة الصحفة مما يليه .

١٧ - إذا قدمت إليك القهوة أو الشاي ، فلا تسكبهما في أطباق الفناجيل ، لأنّ هذا الفعل ، فضلاً عما فيه من القذر ، يناقض آداب الطعام .

وإذا وقع مدعو في هذا الخطأ ، عن جهل أو حسن نية ، فليس لمدعو أن يلاحظ عليه ، أو يهزأ به .

ومما يروى في هذا الموضوع ، أن أميراً دعا قروياً

(١) الشراسيف هي الضلوع المروفة بالكستلية في لغة المطاعم

الى تناول الطعام في قصره ، فصبّ القروى الشاى فى
الطبق ، ثم تناوله ، فضحك بعض المدعوين ، فاستاء
الامير لذلك ، وصبّ الشاى فى طبقه اقتداءً بالقروى ،
حتى لا يتأذى من فعل أولئك المستهزئين .

ومن دلائل الأهمال فى شرب الشاى ، ترك ملعقة
السكر فيها أثناء الشرب ، فينسكب بسببها هذا
الشراب على الثياب . والواجب وضع الملعقة فى الطبق ،
عند الفراغ من الحاجة اليها .

١٨ — حرى بمن حسن تأديبه ، ألا يقتدى
بأصحاب البطنة والشره ، الذين يسقطون على الطعام ،
فلا يحشون به أفواههم ، حتى يقدفوا به من غير مضغ
الى قرار معداتهم .

وواجب تصغير اللقمة ، والأطالة فى مضغها ، حتى
لا ينصّبها الآكل ، أو يضطرّ فى ابتلاعها . الى تجرّع
الماء تبعاً .

ومما ينافي الذوق ، وتمجيد النفس ، شمُّ اللحم والخبز قبل وضعهما في الفم ، وقضم الخبز بالأسنان ، ثم غمسه في الصحيفة ، والأثحاء بالجسم على الصحيفة عند إدخال اللقمة في الفم ، ورفع قدح الماء الى الشفتين باليدين معاً ، والشرب أثناء امتلاء الفم بالطعام ، والكلام أثناء المضغ بحيث تتناثر أجزاء الغذاء من الفم ، على وجوه الآخرين وفي صحافهم ، والتمطق ، والتامط لاستخراج ما يتخلل الأسنان من بقايا الطعام ، والتكلم مع شخص بينه وبين المتكلم مدعوى أو أكثر ، والقراءة أيّاً كانت .

١٩ — البيض نصف الناضج ^(١) يكسر من رأسه الفرطاح ^(٢) ، لا من رأسه المدب ، ولا من وسطه . وتوضع قشوره ، بعد أكل ما فيها ، في الصحيفة ، ثم

(١) هو المعروف بالبيض البرشت والبرشت كلمة دخيلة من الفارسية وأصلها

البرشت أي نصف الناضج

(٢) الرأس الفرطاح أو الفرطاح من البيضة هو الطرف العريض ويقال

أبضا منقطع . وحكمة الكسر منه أنه يلبه فضاء (غرفة) مملوء بالهواء فإذا كسر منه سهلت إزالة القشر حوائيه ولم ينسكب زلال البيض أثناء ذلك

تكسر بملعقة أو سكين ، كيلا تبقى حافظة شكلها
البيضاوى ، فتدحرج ، وتسقط على المدعوين ، عند
رفع الصحاف .

ويوضع الملح أو الفلفل فى البيض ، بالملعقة الخاصة
بهما .

٢٠ — تقشرُ الفاكهة بالسكين والشوكة ، بعد
قطعها أربعة أرباع ، وتوضع القشور والبذور على حافة
الصفحة . ولا يصح إلقاء بذورها من الفم فى الصفحة ،
أو فى اليد ، بل تقربُ الملعقة من الفم ، لألقائها فيها ثم
فى الصفحة .

٢١ — المأكولات التى لا بأس من إمساكها باليد ،
هى : الشراسيف ، والطيور ، والهلبيوت ، والفجل ،
والفطائر الجافة ، وكل ما لا تدعو ملامسته الى قذر اليد .

﴿ الآداب الواجبة بعد تناول الطعام ﴾

١ — يعود المدعوون ، بعد تناول الطعام ، وغسل الأيدي ، إلى بهو الاستقبال ، بمثل النظام الذي جاؤا به منه .

ويحسن ألا يؤمهم صاحب الدعوة إليها ، كما تقدم من منها إلى غرفة الطعام ، إشعاراً بارتفاع الكلفة ، وزوال الوحشة .

٢ — جرت العادة بأن يقضى المدعوون جنحاً من الليل في السمر ، على أثر تناول الطعام .
فالانصراف مباشرة بعد الأكل ، إلا يطابق مقتضى الذوق ، ولا واجب المجاملة ، اللهم إلا إذا كانت له ضرورة ، سبق الكلام فيها مع الداعي ، دفعاً لتوهم الغير أن إجابة الدعوة ، كانت لمحض الرغبة في تناول الطعام .

والمدة التي يحسنُ بالمدعوى قضاؤها بعدَ الطعامِ في بيتِ الداعى ، ساعةً أو بعضُ الساعةِ ، ولا يكونُ انصرافه إلا بأذنٍ منه .

٣ — إذا استأذنَ مدعوى في الانصرافِ : فليجتنبُ ما استطاعَ توديعَ بقيةِ المدعوينَ ، منعاً لما عساهُ أنْ يقعَ من اختلالِ النظامِ لهذا السببِ .
وعلى الداعى ، أنْ يشيعهُ الى بابِ الدارِ ، ويزودهُ بعباراتِ المودةِ والتكريمِ .

٤ — جرى الأوروبيونَ على عادةٍ لا بأسَ بها لمن يرومُ الاقتداءً ، وهى زيارةُ المدعوى داعيهُ خلالَ الثمانيةِ الأيامِ التاليةِ للوليمةِ . وتسمى هذه الزيارةُ عندهمُ بزيارةِ الهضمِ ؛ والأليقُ التعجيلُ بها .



﴿ آداب النجبة والتعارف ﴾

١ — اعتاد الناسُ في مقابلاتهم ، أن يتبادلوا من العباراتِ والأشاداتِ ، ما يشفُّ عن شعائرِ الودِّ والتسليمِ .

ويختلف السلامُ بحسبِ حالِ المسلمِ عليه . فيفيد الاحترامَ له ، إذا كان شيخاً جليلاً ، أو عالماً فاضلاً ، أو رئيساً مطاعاً ، أو المودَّةَ ، إذا كان من النظراءِ والأندادِ ، أو العطفَ والمجاملةَ ، إذا كان من المرؤوسين .

٢ — تبادلُ السلامِ لا يكونُ عادةً إلا بين المرتبطينِ بصلةِ المعرفةِ ، ولكن لا ضيرَ من إفشائه في غيرهم ، لاسيما إذا كان موضعُ اللقاءِ معهم ، طرقاً الأريافِ ، والأماكنَ العاطلةَ من المارَّةِ .

ومن المأثورِ عن فضلِ إفشاءِ السلامِ ، قولُ الملكِ

هنرى الرابع (١) : « عجبى ممن يستغنى عن النظافة ،
وقطرات من الماء تطهره ، أو عن الأدب ، ورفع يده
بالسلام يدل على حسن تربيته »

ومما ورد فى وجوب السلام ، أن رجلاً جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته ، فقال : ألب ؟
فقال عليه الصلاة والسلام لخادمه : أخرج الى هذا فعلمه
السلام والاستئذان وقل له يقول : السلام عليكم ! أدخل !

٣ — المصافحة اصطلاحاً أن تأخذ يمينك يمين من
تصافحه ، ثم تتركها بعد هزها هزاً خفيفاً .

فمن الجهل باللائق أن تصافح يسراك ، أو أن
تستبقى فى يدك طويلاً يد من تصافحه ، أو أن تنفضها
نفضاً عنيفاً ، يكاد يخلعها من المعصم .

ومن الاستخفاف بالناس ، اقتصارك فى مصافحتهم ،

(١) هنرى الرابع ملك جليل من ملوك فرنسا خلف هنرى الثالث سنة
١٥٨٩ ميلادية وقتل سنة ١٦١٠ كان ملكاً شجاعاً مهاباً استخلص المملكة من
يدى الشيعة والعصابات التى كانت اغتصبها حيث دحر زعماءها وانصارها فى
واقعتى آرك وأيفرى وأصدر المنشور الشهير بمنشور نانت الذى وضع به حداً
للاضطهادات الدينية وأدخل الإصلاحات الميمية النفع فى بلاده

على إعطائهم السبابة والوسطى من أصابع يدك . فعل
بعض المفتونين من المتفريجين .

٤ — من مكارم الأخلاق أن يبادى الكبير الصغير
بالسلام ، إشعاراً بما فى نفسه نحوه من العطف عليه ،
والرعاية له . وعلى الصغير فى هذه الحالة ، أن يتبها لقبول
هذه التحية والرد عليها بما يناسب من الاحترام ،
والتواضع ، وألا يتخذ هذه الرعاية ، ذريعة لطرح رداء
الاحتشام .

كان لأمير رفيع القدر ، ملحوظ المنزلة فى قومه ،
يد على رجل حامل الجاه ، منحط الدرجة : فرأى الرجل
الأمير ذات يوم ، فابتدره بقوله من غير احتشام : عم
صباحاً أيها الصديق كيف حالك والحوادث ؟ فأجابه
الأمير هازئاً : بخير وعافية أيها الصديق الحميم .. ولكن
هل تخبرنى ما اسمك ؟ فأدرك الرجل من هذا الجواب
سوء أدبه ، فأخذ سمتهُ فى طريقه صاغراً ، كاسف البال .

٥ — يحسنُ بالمهذبِ ، إذا لاحَ لهُ صديقٌ مطلقاً
من نافذةِ بيتهِ ، أو مشرفاً من إحدى شرفاته ، أو راكباً
مركبةً ، ألاَّ يطرقَ معهُ بابَ الحديثِ ، بعدَ السلامِ
بالأشارةِ عليه ، لأنَّ محادثتهُ إياه تستدعى الوقوفَ في
الطريقِ ، أو الجرى فيه ، مع رفعِ الصوتِ .

٦ — من حسنِ التنصلِ ولطفِ التخلصِ ، إذا رأى
المرءَ في الطريقِ امرأةً له بها قرابةٌ أو معرفةٌ ، أن يلمسَ
سبيلاً غيرَ الذي تسيرُ فيه ، متكلفاً عدمَ رؤيتهِ لها ، فلا
يضطرُّ الى السلامِ عليها والوقوفِ معها ، ولا يستهدفُ
نفسهُ لانتقادِ المارةِ ، ما لم يكنْ هناكُ باعثٌ خطيرٌ ،
لا يحيصُ معه من تبادلها الخطابَ .

٧ — إذا غشيتَ مجلساً فيه سيدةٌ أفرنكيةٌ ، أو لقيتَ
صديقاً أفرنكياً تصحبهُ قرينتهُ ، فمن الآدابِ المألوفةِ ،
ألاَّ تتدربَها بالمصافحةِ ، بل الزمْ مكانك ، فإذا مدَّتْ
إليكَ يدها فصافحْ ، وإلاَّ فلا .

قالت البارونة ستاف^(١) في تعليل هذه العادة ،
« إنَّ البدءَ بالتحية والحديث ، حقٌّ من حقوق المرأة في
المجتمعات ، فهي إذا ابتدرت رجلاً بالسلام ، كأنما تقولُ
له — لقد ألفتك خليقاً بالمصافحة فصاحتك —
لحافظ إذاً على هذا الأدب ، كلما زجت بك
ضرورةُ المعاشرة ، في حضرة سيدة أفرنكية .

٨ — إذا اجتمعت بمن لم تعرفه في مجلس أو
طريق ، وكان هناك ما يدعو الى مخاطبته ، فتوسل قبل
مجاذبتك إياه الحديث ، بمن يقدمك اليه ويعرّفك به ،
أو عرفه أنت بنفسك ، بعبارة تشف عن تربية عالية
وأدب جم ، ثم أسرد له ما حملك على التعرّف به . قال
الحسن فيمن يجالس غيره على جهل بأمره : « مجالسة

(١) البارونة ستاف فرنسية من فضليات النساء العارفات بأداب
المعاشرة والمتصلعات من فن تدبير المنزل ولها في ذلك مؤلفات عديدة منها كتاب
« آداب المعاشرة والسلوك في الهيئة الاجتماعية » وكتاب « ربة الدار وفن
الاستقبال » وكتاب « التقاليد المطبخية وفن تناول الاطعمة على المائدة »
وكتاب « غرفة الزينة والتجميل » وكتاب « المراسله في جميع المناسبات » وكتاب
« السر في أن أكون جميلة ومحبوبة » وكتاب « المرأة في العائلة » الخ

الرجل من غير أن يسأل عن اسمه ، مجالسة النوكى .
فكأنه رضى الله عنه ، اعتبر المتجالسين بلا تعارف ،
كالحمقى ، إذا خلا بعضهم الى بعض .

٩ — إذا دعيت الى تعريف الناس بعضهم ببعض ،
فلا تجب إلا إذا أيقنت أن إجابتك تسدُّ حاجة ماسة ،
ولا تجرُّ اليك أذى .

وتوق ما استطعت التعريف بين الناس فى الطريق ،
فقد لا يستحسنُ المعرّف والمعرّف به كلاهما هذا الفعل ،
فينظران اليك بعين الاستياء والامتناع .

١٠ — لا يليق بحال من الأحوال ، تعريفُ
السيدات بالرجال ، ولا تقديمهنَّ اليهم ، مهما تكن منزلةُ
كلِّ فريق منهما وعمره ، ولا يتفق مع الأدب ،
تعريفُ الأكبر سناً أو الأرفع مقاماً بمن يليه فيهما ،
ولا السيدة بالفتاة ، وإنما الملائمُ عكس ذلك كله ، أى
يعرّف الأدنى بالأعلى ، والأصغرُ بالأكبر .

﴿ آداب المرافقة في الطريق ﴾

١ — إذا رأيت شخصاً يسير في الطريق ، لا متسرّعاً ولا متمهلاً ، ولا متصلباً ولا مسترخياً ، ولا ملتفتاً تارة إلى اليمين ، وطوراً إلى اليسار ، فذلك الذي ينبغي لك الاقتداء به ؛ لأنه منتظم في مشيته ، والمنتظم في مشيته يلتقي في نفس الناظر إليه احترامه ، ويصل إلى مقصده آمناً مطمئناً في زمن يسير .

٢ — إذا اتخذت رفيقاً لك في الطريق ، فليس لأحدكما على الآخر بالنسبة لموضعه منه ، فضل ولا ميزة ، مادما متساويين قدراً أو لا كلفة بينكما . فإذا كان بينكما فارق ، أساسه العلم ، أو السن ، أو الجاه ، فمن كمال التربية أن يتنحى المفضول في ذلك للفاضل ، عن الموضع الذي يعرف أن فيه راحته .

ولقد كانت تلك شمائل الخلفاء من الدولة العباسية على ما يؤخذ من رواية يحيى بن أكرم . قال : « ماشيت

المأمونَ يومًا في بستانٍ ، فكنتُ من الجانبِ الذي يسترُهُ
من الشمسِ . فلما انتهى إلى آخره وأرادَ الرجوعَ ،
أردتُ أن أدورَ إلى الجانبِ الذي يسترُهُ منها . فقال :
لا تفعل ، وكن بحالكَ حتى أستركَ كما سترتني . فقلتُ
يا أميرَ المؤمنين ، لو قدرتُ أن أقيكَ حرَّ النارِ لفعلتُ
فكيفَ الشمسِ ؟ فقال : ليس هذا من كرمِ الصعبةِ .
ومشى سائرًا إلى من الشمسِ كما سترتهُ »

٣ — عودُ نفسك ملازمةَ الجانبِ الأيمنِ من
الطريقِ في ذهابك ، والجانبِ الأيسرِ منه في مجيئك ،
ولا تسلكَ مسلكَ الدوابِّ والمركباتِ ، إلا اجتيازاً للعرضِ
الطريقِ .

وليس للمرأةِ بنوعٍ خاصٍّ ، أن تتبخترَ وسطَ
الطريقِ ، ولكن تمشي في جانبهِ .

جاءَ في حديثِ شريفٍ « ليس للنساءِ من

سَرَوَاتٍ (١) الطريقِ وإنما لهنَّ جوانبه »

(١) سَرَوَاتُ الطريقِ متنه أي وسطه

٤ — إذا شهدتَ عابراً سبيل من الشيوخ ، أو أصحاب المقامات ، نخل له عن الطريق ، عرفته أم لم تعرفه ، واجعل نفسك وقاية له ، مما عسى أن يقع من خطر الزحام .
وإذا كنتَ على وشك المرور مع غيرك ، من مضيق أو مزدحم ، فتخلف حتى تتمكن الذين هم أكبر منك سنًا ، وأعلى قدرًا من المرور . وعليهم ألا يغفلوا السلام عليك ، اعترافاً منهم بأدبك .

وإذا تزاحم الناس في مثل هذا المكان ، فلا تدافعهم بل المناكب التماس المرور ، ما لم يكن عندك من البواعث ما يدعوك الى ذلك .

٥ — إذا كنتَ تحملُ هراوة أو مظلة ، فحاذر كل الحذر أن تتأبطها ، فأنتك إذا تحركت وهي بهذا الوضع ، فأصابت بطرفها عين ، ماراً أو جالساً ، تعرض نفسك لحكم القضاء عليك .

واحذر أن تعرض الطريق ، متأبطاً واحدةً منهما ،

فتعطلُ المرورَ فيه .

٦ — إذا اضطررتَ الى المرورِ على قنطرةٍ من الخشبِ فوقَ ترعةٍ ، فلا تراحمُ غيرَكَ حتى يسهلَ المرورُ لك . وإذا كانتَ بينَ المارينَ شيخٌ طاعنٌ في السنِّ ، أو امرأةٌ ، فساعدْهما على المرورِ مترفقا بهما .

٧ — إذا أردتَ الاهتداءَ الى الطريقِ ، أو الاستدلالَ على عنوانِ أحدٍ ، فتلطفْ في سؤالِ من تستفهمُ منه ، كأن تقولَ له : « من فضلك اهدني السبيلَ » أو « هل لك أن ترشدني الى مكانِ فلانِ » الخ .

والأولى بمن يريدُ الاسترشادَ ، أن يواجهَ أربابَ الحوانيتِ الصغيرةِ ، فإنهم أعرفُ الناسِ بالأشخاصِ والأشياءِ ، في الجهة التي يبحثُ فيها . فإذا أجابوه على سؤاله ، وجبَ عليه أن يشكرَ لهم حسنَ صنيعهم معه .

٨ — إذا التقيتَ في الطريقِ بصديقٍ لك ، فابدأه بالسلام ، ثم سلّه عن صحته وأحواله .

وإنما لا يكون ذلك إلا إذا دانته ، حتى لا يسمع أحد المارة ما يدور بينكما من الحديث .

٩ -- إذا التقى الرفيقتان في الطريق ، بصديق لأحدهما ، وكان هناك ما يدعو إلى كلام أحدهما معه ، فعلى الذى يعرفه منهما ، أن يستأذن رفيقه الأول في محادثته ، وعلى هذا الرفيق أن ينتحى مكانا بعيداً عنهما ، ليفسح لهما في الكلام . كما على طالب الأذن أن يختصر الحديث . حتى لا يمل رفيقه الأفراد .

١٠ -- من أمارات الكبرياء ، ومظاهر الأعجاب بالذات ، أن يمشى الإنسان في الطريق مشية المختال الفخور ، واضعاً يديه في جيوب ملابسه ، أو معلقاً لهما بالأبهامين في الأجزاء العليا منها .

فاحذر إذا الاقتداء بذلك المختال ، الذى يرى في ذاته أنه أكبر الناس قدراً ، وأعظمهم خطراً ، بينما يرى الناس فيه أنه أخطئهم شأنًا ، وأخلمهم ذكراً .

١١ - يعرضُ بعضُ الناسِ أنفسهم للهوان .

والحكم عليهم بسقوط الهمة ، لجلوسهم أمام منازلهم ،
في الزى الذى لا يليق إلا فى مخدع النوم .

فاجتنب إذاً خطر الوقوع تحت طائلة هذا الحكم
واحذر ما استطعت الجلوس على أبواب حوانيت
التجار ، فإنهم لا يروق لهم أن تسد فى وجوههم سبل
الارتزاق ، بوقوفك عقبه فى طريق المشتري .

١٢ - كفى المرء دليلاً على خسة نفسه ، وسقوط

همته ، وحسبه من الجمهور استخفافاً به ، وخطاً من قدره ،
أن يتتبع خطوات النساء المارّات فى الطريق لمغازلتهم ،
أو رميهم بالفاظ البذاءة والفحش .

وخليقُ بهاته النساء ، مادّ من حريصات على فروض
الأدب والحشمة فى الطريق ، أن يعاملن المتعرض
لهنّ بالشدة والقسوة . وذلك بتنبيه أحد رجال الحفظ ،
أو أصحاب المروءة والشهامة ، الى القبض عليه ، وسوقه
الى حيث يلقى جزاء وقاحته ، وسفال أخلاقه .

﴿ آداب السفر والانتقال ﴾

١ — حضَّ القرآنُ الشريفُ، والسنةُ النبويةُ، وحثَّ الحكماء والعقلاء، على الرحلة من دارِ الأقامة، الى غيرها من الديار، ليزدادَ الفكرُ تنويرًا، والعقلُ تبصرًا، بالنظر والتجربة .

قال تعالى : « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُجَارُوا فِيهَا »، « أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ »، « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ » وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « سافروا فَإِنَّ لَمْ تَغْنَمُوا مَالًا أَفْدْتُمْ عِلْمًا » وقال الشاعر :

وإنَّ مقامَ المرءِ في الحَيِّ مَخْلُوقُ

لديبا جتية فاغتربْ تجدّدْ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةَ

الى الناس أنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

٢ — إذا أخذتَ للسفر عدَّتْكَ ، فمنَ الأدب أنْ

تودّعَ الذين لك بهم صلةٌ معرفةً ، أو قرابةً ، وأن تسألهم

عما يكونون في حاجةٍ الى قضاءه من البلد الذي تقصده ،
وعليهم ألا يتوسلوا بهذا الأدب ، الى التكليف بما
تثقل مؤونته .

وخليق بهم في هذه الحالة ، أن يسألوه عن ميقات
سفره ، ليودّعوه ويشيعوه ، ويتمنوا له التوفيق والخير
في رحلته .

٣ — إذا كان السفر على الدواب ، يحسنُ بالمسافر أن
يحافظ على مودة رفاقه ، ويستميل اليه قلوبهم ، ويستشيرهم
فيما يهتم عليه من الرأي ، ويقوم على المرضى منهم بالرعاية
والعناية ، ويجهد لهم رأيه إذا استشاروه ، ويتفق معهم
إذا أضلوا الطريق .

وبالجملة يكون وإياهم يداً واحدة على الوصول ،
في أمن وسلام ، الى الجهة التي يقصدونها .

٤ — إذا امتطيت جواداً في صحبة من تحتشمه ، فمن
حلاوة الشمالك ، أن تجعل عنايتك براحتة ، أكثر من

عنايته براحتك ، وأن تكون معه في أدب المسيرة ،
كنديم الوليد^(١) الذي قال هذا الخليفة فيه : « لقد صحبتُه
منذ دخلت العراق ، فما حكّ ركابه ركابي ، ولا تقدّ مني
فنظرتُ الى قفاه . ولا تأخرَ عني فلويتُ له عني ، ولا
حجبَ عني الشمسَ في شتاءٍ قطّ ، ولا الروحَ^(٢) في
صيفٍ قطّ » .

٥ — إذا كان في الطريق مخاضةً أو مستنقعاً، ورأيتَ
تأديباً منك أن تتقدم رفيقك ، فحاذر أن يطير رشاشُ الماء
أو الطين من حوافر جوادك ، فيصيب وجهه أو ثيابه .
ولا تداعب جوادك أمامه ، ما لم تكن له في ذلك رغبة .

٦ — يحملُ بأدبك ، إذا كان الانتقالُ في مركبةٍ تسعُ

(١) هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان سادس الخلفاء من بني
أمية ولد (سنة ٥٠ هجرية - ٦٧٠ ميلادية) وبويع له بالخلافة (سنة ٨٦ هـ -
٧٠٥ م) وتوفي (سنة ٩٦ هـ - ٧١٤ م) ودفن بدمشق . كان كثير اللحن
الا أنه كان شديد السطوة جم المرأة غزير العقل . وهو الذي بنى مسجد المدينة
والجامع الأموي وفتحت في أيامه بلاد الهند والسند والأندلس . وبلغت به
الشفقة ان خصص لكل أعمى قائدا ولكل مقعد خادما وهو أول من اتخذ
البهارستان للمرضى ودار الضيافة للغرباء
(٢) الروح نسيم الريح

جملة من المسافرين ، التنحي عن خير الأمكنة فيها للأرفع مقاماً ، والأوجب احتراماً .

وخيرها ما يامن الكرسي المؤخر ، ويتلوه ما يسره . فالذي يسامته من الكرسي المقدم ، فالذي يقابل الأول منه ، ثم ما بين الاثنين الأولين ، فما بين الاثنين الآخرين .

٧ — وإذا كان الانتقال في المركبات العمومية ، التي يشترك فيها أفراد الشعب ، يكون الجلوس بحسب ورود الركاب : وإنما يجدر بالفتى المهذب ، إذا كان في المحل الأصح ، أن يتنازل عنه للشيخ الكبير ، أو المرأة ، أو صاحب المقام الجليل ، من أهل العلم والفضل .
والواجب على هؤلاء ، إذا قبلوا الجلوس في هذا المحل ، أن يشكروا لذلك الفتى أدبه ومعروفه .

٨ — من الأدب ، إذا كانت المركبات كثيرة النوافذ والأبواب ، ألا يكون فتحها أو إغلاقها ، إلا بعد

الاستئذان من المسافرين .

وقد يتفق كثيراً لبعْدِ الشقة ، وطولِ المسافة ، أن يصطحب المسافرُ معهُ غذاءَ خفيفاً ، فمن كرمِ الشيم ، متى شرعَ في الأكل ، أن يدعوَ إليه الجالسينَ معه .
والواجبُ عليهم ، أن يجيئوا بخير الأعداءِ في عدمِ مشاركتِهِ في هذا الغذاء الخفيف .

٩ — ليسَ لمسافرٍ أن يبدأَ الجالسينَ بالكلامِ في شأنٍ ما ، اللهم إلا أن يكونَ سؤالاً عن أمورٍ عادية ، كالاستفهامِ عن الوقت ، أو عن اسمِ المحطةِ التالية ، أو عن المسافةِ الباقيةِ من الطريقِ الخ . والواجبُ أن يكونَ السؤالُ بالرفقِ والأدبِ .

وإذا جاذبهم الحديثُ في أحوالِ بيته ، أو أعمالِهِ الخاصةِ ، فليسَ من الفطنةِ والكمالِ ، أن يتعدَّاهُ إلى إفشاءِ الأسرارِ .

١٠ — ألا يثقلُ على سمعِكَ ، ويستثيرُ غيظَكَ أثناءُ

السفر ، أن تسمع مسافرًا يطيلُ الشكوى لمجاوريه ، من طول الطريق ، وسوء حالته ، وعدم توفر الراحة فيه ؛ أو أن تراه يشيرُ الخلافَ بينه وبين أحدِ القائمين بأعمال الطريق ، بما يمكن أن تكونَ نتيجتهُ التعطيلُ ؛ إذا كنتَ تكرهُ أن يتبعَ غيرك هذه الخطةَ معك ، فحاذرُ من اتباعها نحوَ غيرك .

١١ — يقتضى نزولُ الفنادقِ الأخذَ بالحِطةِ ، فلا تطلقِ إذا العنانَ لنفسك فيما تحبه ، بوهم أنك في الفندقِ كما لو كنتَ في بيتك . ولا يبرحَ عن بالك ، أنك بين أناسٍ يجهلونَ عاداتك ، كما تجهلُ أنتَ طباعهم وأخلاقهم ، وينتظرونَ منك أن تكونَ على خلقٍ حسنٍ ، وعاداتٍ رضيةٍ ، وآدابٍ تشكرُ عليها .

١٢ — لا تعجلِ برفعِ الكلفةِ بينك وبين خدامِ الفنادقِ القائمينَ بخدمتك ، بل كن معهم على ما يقتضيه .

الوقار ، وتطلبه الحشمة ؛ ولكن لا يخليك هذا من وجوب محاسنتهم ، والأحسان اليهم .

١٣ — إذا عدت بسلامة الله من سفرك ، ورداك الله الى أهلك ردًا حسنًا ، فبادر بزيارة أقبائك وأصدقائك ، لاسيما أولئك الذين عهدوا اليك بقضاء حاجاتهم ، لتنتهي اليهم نتيجة ما كلفوك به .

وعلى هؤلاء بعد ذلك زيارتك ، ايشكروا لك حسن صنيعك

﴿ آداب الجمعيات والمنزلات والمطهرى ﴾

١ — ينبغي أن يكون أساس الاجتماع ، فى جميعات الأصدقاء والأقارب ، التحلى بالفضائل ، وأخص الاستقامة وقصد الخير ، وكل جمعية ينافى غرضها ذلك يجب البعد عنها ، والفرار منها .

٢ — إذا كنت فى نزهة مع صديق ، فلا تخالف

ميوههم ما استتطعت ، ولا تظهر الملل ولا التأفف مما
يجمعون على استحسانه ، إذا عن لك ما يحملك على
مخالفتهم .

ومن الأدب ، وحسن الرعاية ، أن يقيس أصغركم
سناً ، وأكثركم نشاطاً ، خطواته على خطوات الشيوخ ،
والناقبين ، وأصحاب العاهات منهم . قال الشاعر :

فسيروا على سيري فأنى ضعيفكم

وراحلتى بين الرواحل ظالع^(١)

٣ — أشرف المجال للسائرين جماعة الوسط ، ويليهِ
ما يامنهُ ثم ما يأسرهُ ، وما يامن الأول ، ثم ما يأسر الثاني .
وإذا قضت ضرورة السير ، بأن يدور الإنسان
على كعبه ، فليتنجب أثناء ذلك أن يولى ظهره رفاقه .

٤ — إذا كان الرجل يمشى امرأة من أهله ، فليجعلها
أقرب منه إلى جانب الطريق ، وليتكفل بحمل ما بيدها
من الأثقال .

(١) الظلم عزم في المشية شبيه بالمرج أو هو المرج اليسير

٥ — اغتتم مايسنح لك من الفرص ، لتتخذ لك يداً
عند رفاقك . وخليق بأصغر القوم سنّاً ، أن يؤدي هذا
الواجب نحو الشيوخ ، وذوى المكانة العالية والفضل .

٦ — إذا عرّضت في جمعية ما ، ضرورة للعزف
بالآلات الموسيقية ، فلتكن الأدوار التي تقوم بأدائها ،
أقرب الى أنواع الحماس والجدّة منها الى المجون .

وإذا رجا منك أعضاء الجمعية التي تضمك ، أن
تعزف بتلك الآلات ، لعلمهم ببراعتك فيها ، فلا تجنّ
عليهم بما يدعوهم الى التمادى في الرجاء منك ، بل بادِرْ
بإجابة الطلب ، لا سيما إذا كنت تعلم أن في الإجابة
ما يسر أفئدتهم ، ويشرح صدورهم .

وإذا كان يذهب ، من هو أقل إتقاناً منك لفنون
الموسيقى ، فحاذر أن تدعو نفسك الى العزف ، التماس
المباهاة والتفوق عليه أمامهم .

٧ — إذا غنى غيرك ، أو عزف بالموسيقى ، فلا تهوّش

عليه بنقرات الأيدي ، ودَبَّاتِ الأرض ، وزناً للأيقاع .
ولا تأخذُ عليه في دفترِ الغناء ، نقط ^(١) الأيقاع ، كمن
يتبع أثرَ غيره . ليقفَ منه على سقطة .

٨ — حاذر إذا غنيت ، أن تقرنَ صوتك بأشاراتِ
الممثلين على مسارح التمثيل ؛ لأن الحركات في الغناء ،
تذهب بتأثير الحانه في نفس السامع . لاسيما إذا كان فيها
ما يشذُّ عن المألوف ، ويدعو إلى سخرية السامعين .

٩ — العقل في حاجة إلى التعلق باللهو واللعب ،
المشترط فيهما الاعتدال ، والبعد عن المحظورات ؛ ولكن
لا يجب على كل حال ، الاسترسال فيهما ، بحيث يستغرقان
أوقات الفراغ كلها . وإلا أفضيا إلى الملل والسآمة ، أو
صارا داءً يستعصى علاجه .

والواجب على كل شاب عاقل ، أن يتقى الألعاب التي

(١) رأى بعض الباحثين في أصول الالفاظ أني العلامات الموسيقية المسماة
بالنوت أو النوتة كانت موجودة في الموسيقى العربية القديمة وكان يعبر عنها
بالنقط . وإن الافرنج أخذوا هذا اللفظ ضمن ما أخذوا من اصطلاحات
الموسيقى فصارت نوت note بتواتر الاستعمال وتحريف اللسان

يحظرها الذوق والقانون ، والتي يخشى منها الخطر على الأخلاق والثروة .

١٠ - حاذر كل الحذر ، التردد على مجتمعات لعب القمار ، ومشاركة اللاعبين في لعبهم ، فإن اللهو الذي يكون أساسه انتقال المال من يد مالِكه ، الى يد غيره بالخطأ والجفاف ، لا يلبث أن يكون سبب الشقاء والخراب ، للخاسر والرابح سواء ؛ بل كثيراً ما يكون الندم على الكسب ، أشد في الأغراء على متابعة اللعب ، ورب راجح في ساعة ، خاسراً في غيرها أضعاف ماربح .
يروى عن لويس التاسع ، ملك فرنسا (١) . أنه كانت تأخذه الرعدة الى ذكر لفظ القمار في مجلسه .

وقال الحكيم الاخلاقي لابرويير (٢) : « ما وجدت

(١) المعروف بالقديس لويس ولد سنة ١٢٢٦ وتوفي سنة ١٢٧٠ للميلاد . فصد مصر افتحها في جيش جرار سنة ١٢٤٩ ومحاربتها حرباً صليبية فأسره المسلمون واعتقلوه في المنصورة . وفي سنة ١٢٧٠ شرع في محاربة أهل تونس فمات بها في العام نفسه . وكان مشهوراً بالنضال وحسن التدبير وأسر مدرسة السوربون المعروفة بباريس .

(٢) هو جان دولابرويير من أكر الحكماء الاخلاقيين في القرن السابع عشر ولد سنة ١٦٤٥ وتوفي سنة ١٦٩١ وله كتاب عنوانه الطباع والاخلاق

جماعة من الناس ، غشيت وجوههم قتره الهوم
والأحزان ، كجماعة المقامرين . قوم جلسوا بعضهم تجاه
بعض ، كالتماثيل الجامدة أو كالحشب المسندة ،
يتراشقون بألحاظ العداوة التي تنكر الصلح ، والحرب
التي لا تعرف الهدنة ، ويجتمعون بأجسامهم ، وقلوبهم
سنتى ، ولا يؤمنون بالله سوى الجزاف والمصادفة العمياء .

١١ - أحسن الملاحى ، ما جمع الى رياضة البدن ،
ترفيه العقل ، وترويح النفس ، كلعب الكرة بأصنافه ،
على شرط قصر مدة اللعب ، والاعتدال فيه .

والآداب الملائمة للملاحى ، هى عين الآداب
العامة المطلوبة من الناس ، فى اختلاطهم بعضهم ببعض ،
فكون الإنسان يلعب ، لا يخليه من تبعة مخالفته لقانون
الأدب .

١٢ - من المحظورات التي يحسن اتقاؤها أثناء
التمثيل ، أن يحضر بعض المتفرجين بعد الميعاد

المضروب ، فيحدثوا عند دخولهم جلبة تؤذى السمع ،
وتلفت النظر ، وأن ينظر المتفرجون والمتفرجات ، بعضهم
بعضاً بالنظارات ، لأن استعمال النظارات لا يكون إلا
للممكن من رؤية مناظر التمثيل ، لا من رؤيتهم ، وأن
يصيحوا أو يصفروا احتقاراً للممثلين وتشهيراً بهم ، إذا
لم يحسنوا أداء أدوارهم ؛ لأن الأدب والمجاملة يتطلبان
منهم في هذه الحالة ، إما السكوت ، وإما مبارحة الملهى ،
وأن يتكلموا ، أو يأكلوا ، أو يدخنوا ، أو يزوروا بعضهم
بعضاً أثناء التمثيل .

﴿ آداب الزيارة ﴾

١ — فطر الناس منذ الخليقة على حب الزاور ، لأن
الزاور ركن من أركان الاجتماع ، يترتب عليه توثيق الود .
وله قواعد وآداب ، تختلف بحسب المناسبات ، فإذا
كان بين الأنداد ، فلا كلفة فيه في الأيام المعتادة ، ولكنه

يتحتم في المواسم والأعياد . وتختلف أيضاً باختلاف الزمان والمكان ، فلا تجوز الزيارة مثلاً في مواعيد الطعام ، وأوقات الراحة ، ولا في غير بيت المزور .

٢ - المدة المناسبة للزيارة ، بعض الساعة . ولا يجوز الاكثر منها في أيام متقاربة ، وإلا كانت داعية الملل .
ألم تر أنك إذا أقلت الزيارة ، سأل عنك أصدقاؤك ، وتمنوا لقاءك ؟

إني كثرت عليه في زيارته . فل والشئ مملول إذا كثرا
٣ - التزاور بين الأقارب والأصدقاء ، لا يدخل تحت القيود والتكاليف ، فلا تناوب هناك فيه ، ولا محاسبة عليه . وإذا لم يجذ الزائر المزور ، فعليه أن يكلف خادم أو غيره من مساكنيه ، بأبلاغ خبر زيارته لمولاه ، وإلا ترك ورقة زيارته ^(١) إشعاراً له بمجيئه .

٤ - إذا كان المزور وزيراً أو ذا شأن خطير ، وكانت

(١) بمعنى ورقة الزيارة المعروفة باسم كلوت دي فيرت

الزيارة في صالح الزائر ، وجب على هذا الأخير ألا يطيل المكث بين يديه ، بأن يوجز مع الأفادة في بيان ما يرجو ، ليكون كلامه أوقع في النفس ، وطلبه أقرب الى الأجابة .

٥ — لا يناسب قطعاً أن تزور أحداً ، وأنت في دور الأبلال من مرضك ، وما دامت علامات المرض مرسومة على وجهك وجسمك ، ما لم يضطرك الى ذلك عمل هام لا يتيسر إنجازهُ في غيابك .

٦ — إذا قصد جماعة زيارة أحد ، فلا يحسن أن يزيد عددهم على الثلاثة ، ولا يصحب الزائر ابنه أو شخصاً غير معروف من المزور ، إلا بأذن سابق منه ، لأنه إذا بدا من هذا الشخص في زيارته التالية ، ما يوجب اللوم والمؤاخذه ، وقعت تبعه فعله عليك ، لأنك كنت السبب في التعارف .

٧ — إذا جئت الى دار المزور ، فلا تدق الباب دقاً

مزجاً متداركاً ، ولا تطل قرع الجرس ، بل انتظر ديثماً
يحضر من يفتحه لك .

٨ — إذا سألت الخادم عن سيده ، هل هو موجود
في بيته ، وكان الجواب سلباً ، فليس لك أن تليح في
السؤال ، تحقيقاً لصديق غيابه ، ولو ثبت لك وجوده فيه ،
كأن تكون لمحته أو سمعت صوته .

والواجب أن تنصرف مقتنعاً بأول ما قيل لك . فقد
يكون التنكر لعذر شرعي ، منعه من لقائك .

وإذا علمت بوجوده ، وتبين لك أنه مريض ، أو على
مائدة الطعام ، فبادر بالانصراف بلا كلام .

٩ — إذا أدخلك الخادم في غرفة الاستقبال ، وكان
المزور في غرفة ملاصقة لها ، فليس لك أن تفاجئه
بالانسياب فيها ، قبل أن يصل اليك الأذن منه على
لسان الخادم .

وإذا طال عليك الأمد في انتظار وصول هذا

الأذن ، وكان عندك ما يدعوك الى الانصراف ، فلك أن
تنصرف بعد أن تترك وريقة زيارتك . مبيناً فيها سبب
تعجلك ، وينبغي أن يكون السبب عذراً بيناً .

١٠ — ليس من الأدب التغنى ، ولو بصوتٍ
منخفضٍ ، أثناء انتظار المזור ، ولا لمس التحف والأشياء
المنسقة في غرفة الانتظار ، ولا الأطلال من نافذاتها .
وغاية ما يجوز لك في وحدتك ، التلوى بالنظر عن
بعدٍ ، الى هذه الأشياء .

١١ — يجب حتماً على الزائر ترك مظلته وهرأوته (١)
عند الباب ، على أنه إذا كان المזור من النظراء والأنداد
يجوز استبقاء الهراوة ، على شرط ألا يفحص بطرفها
الأرض ، كأن من ورائها سرّاً يروم استقصاءه .
ومن القذر وسوء الأدب ، البصق على الأرض
والبسط .

١٢ — إذا أدخل الزائر غرفة الاستقبال ، وكان قد سبقه إليها جملة من الزائرين ، فالواجب عليه ، بعد ابتداء صاحب الدار بالتحية ، أن يجلس في المكان الذي يعينه هذا له .

قال العرب : « إذا دخل أحدكم بيتاً فليجلس حيث أجلسه أهله » ، على أن للزائر أن يجلس في المكان الخالي ، حتى لا يكلف المزور مؤنة الاهتمام به .

١٣ — إذا كان المزور الذي دخلت عليه ، من ذوى الشأن ، فلتكن تحيتك له بالأدب والاحترام ، واحذر أن تستفسر منه عن صحته ، أو تستفهم عن حالته ، أو تدعه يهتم بأجلاسك .

وإذا بدت منه حركة يريد بها تقديم كرسي لك ، تواضعاً منه وإكراماً مالك ، فهرول إلى أخذه . ولا تحتر لنفسك أحسن المجالس ، ولا أجل الكراسي وأنخرها .

١٤ — إذا شعرت أن مزورك على أهبة تناول الطعام ، أو على وشك الخروج من داره ، أو على عجل في أمر يخصه ، فلا تتلصقاً في الانصراف ، ولو دعاه ذوقه وأدبه إلى استبقائك .

١٥ — إذا كنت في زيارة أحد ، وطراً زائراً آخر ، فلك أن تستأذن منه وتنصرف ، بعد أن يستقر الزائر ، وتحصل الحفاوة به ، لأن تعجيلك بالانصراف ، يدعو إلى التأويل بأنك لا تريد الاجتماع به .

١٦ — اجتنب في زيارتك ترديد التحيات ، وتكرير إشارات الاحترام ، بل اكتفِ بتحية واحدة عند اللقاء ، ومثلها عند الانصراف .

١٧ — لا يليق قطعاً بالمزور أن يستقبل زائره ، وهو في لبسة المتفضل^(١) . وإذا طراً زائراً وأنت تلبس ثيابك ، فلا تبطئ عليه حتى لا يمل الانتظار .

(١) لبسة المتفضل هي لباس الوم

١٨ — استقبالُ الزائرِ لا يكونُ في مخدعِ النومِ ،
ولا في غرفةِ الطعامِ ، بل في المكانِ الممدّدِ لذلك ، والذي
ينبغي أن يعتنى بتنظيفه وتنسيقه ، وإن لم يكن مفروشاً
بالرياش الفاخر . وإذا لم تكن في البيت غرفة خاصة
بالاستقبال ، فلا بأس من لقاء الزائر في أنسب الأماكن .

١٩ — لا حرج على الطيب في عيادته ، ولا على
الحامي في مكتبه ، ولا على أرباب الأعمال في محالّ
عملهم . إذا لم يشيعوا زائريهم أو عملائهم ، إلّا إلى باب
الغرفة التي حصلت الزيارة فيها ، لأنّ صاحب العمل
أولى بالوقت الذي يصرفه في تشييع الزائرين ، فيما يلي
ذلك الباب .

٢٠ — إذا عرّض سفرٌ طويلاً على المرء ، وجبت عليه
زيارة أخصائه لوداعهم ، وإخبارهم بقرب رحيله .
وإذا عاد بالسلامة من سفره ، فليبدأهم بالزيارة ،
إخطاراً لهم بعودته .

ويليقُ بهم في الحالة الأولى ، تشييعهُ الى محطة السفر ، وفي الحالة الثانية ، المبادرةُ بردَ زيارته لأداء تحية العودة .

٢١ — إذا تخلفَ صديقك عن زيارتك على غير عادته ، فبادرْ بالسؤال عنه لتبينَ سببَ هذا التخلف ، وتستوثقَ من أمره ، وإلاّ أفضى إغفالك السؤال ، الى التقاطع الذي هو ضدُّ الزاور .

٢٢ — تجنبْ ما استطعت ، أن تجعلَ زيارتك للمزور في محلّ شغله ، لأنها إذا لم تكن داعية عطله ، فقد تعرّضه للمؤاخذه من رئيسه .
وكذا لا يكونُ الزاورُ ليلاً ، إلاّ بين الأصدقاء والأقارب ، الذين ألفوا هذه العادة .

﴿ آداب ورىقات الزىارة ﴾

(الكارت دى قىزىات)

١ — ورىقاتُ الزىارة ، قطعُ مستطيلةُ الشكلِ من الورقِ المقوى ، يكتبُ المرءُ عليها بخطه ، أو بحروفِ المطبعة ، اسمهُ واضعُ ، ورتبتهُ ، ووظيفتهُ ، أو محلَّ إقامته . وينبغى أن يكونَ الخطُّ واضحاً ، لا يلتبسُ مدلوله على القارئ ، وإلاَّ ضاعت الفائدةُ منه .

٢ — يوضحُ صاحبُ الرتبةِ فى ورىقاتِ زيارتهِ رتبتهُ ، بالاصطلاحِ المعروفِ للدلالةِ عليها ؛ فيقالُ مثلاً : « فلان بك » أو « فلان باشا » ، ولا حرجَ على الأُفندى أن يضعَ هذا اللفظَ عقبَ اسمه ، تفادياً من الخطأ فى بيان صفته .

ولا يليقُ تصديرُ الأسماءِ بالديباجةِ الخاصةِ برتبةِ صاحبها ، فلا يكتبُ « عزتو فلان بك » أو « سعادة فلان باشا » الخ

٣ — يحسنُ بالمرءِ ، أنْ يحملَ معه دائماً وريقاتَ
زيارته ، لصلوحها في التعارف ، وإعلانِ الزيارةِ وغيرهما .
ولا يجوزُ للأصغرِ أنْ يُرسلها إلى الأكبر ، ولا
للمرؤوسِ إلى الرئيسِ ، إلا لأعلانِ الزيارةِ والتماسِ
المقابلةِ .

٤ — لا تبيحُ الآدابُ الشرقيةُ للمرأةِ ، أنْ تتخذَ
لنفسها وريقاتَ زيارةٍ تطبعُ عليها اسمها .
وعندَ الأفرنج لا يجوزُ للأعزبِ والأرملِ ، أنْ
يبادِلا العزباءَ والأرملةَ ، وريقاتِ الزيارةِ بمناسبةِ عيدٍ أو
حفلةٍ ، إلا إذا كانت بينهما مصالحٌ مشتركةٌ .

٥ — يتفقُ ألاَّ يجدَ الزائرُ مزوريه من أسرةٍ واحدةٍ ،
فيتركُ لكلِّ منهم وريقةَ زيارةٍ . وهو خطأ لأنَّ الزائرَ
لا يتعددُ بتعددِ مزوريه ، وريقةٌ واحدةٌ تكفي الجميعَ .

٦ — حاذرُ من كتابةِ أسراركَ ، على وريقاتِ
زيارتك ، لاسيما إذا كانَ لها مساسٌ بأسرتك ، أو

بعملك الذى عليه قوام حياتك .

فرباً سرّاً يكونُ إفشاؤه من هذا السبيل ، سبب
الأضرار بك فى رزقك ، ومستقبلك ، وهنائك .

٧ — لا فرق فى استعمال الوريقات ، بين المناسبات
السارة والمحنة . فإذا علمت مثلاً أن مصاباً نزل
بصديق لك ، فبادرْ بأرسال وريقة الزيارة إليه ، متضمنةً
كلمة تعزية وسلوان ، واجعلها مقدمة لزيارته بنفسك .

﴿ آداب عبادة المريض ﴾

١ — عاطفة الرحمة وآصرة^(١) القرابة فى الأنسانية ،
تقضيان عليك بعبادة المرضى الذين يمتنون^(٢) اليك بحبل
القرابة أو الصحبة .

ومما جاء فى الحضر على العيادة حديث : « من حق
المرء على المرء ، إذا مرض ، أن يعودهُ »

(١) الآصرة ما يوطئ الناس بعضهم على بعض من رحم أو قرابة أو صهر

(٢) يمتنون من منى يمتدون اليك ويتكلمون بك

وكان النبي عليه الصلاة والسلام ، يعودُ جاراً يهودياً له . وهو دليلٌ على أنَّ العيادةَ لا تتوقفُ على الاختلاف في الأديان ، أو الأجناس ، أو اللغات .

٢ — استعلم قبل عيادة المريض ، إذا كان في قدرته استقبالُ العوادِ ؛ فإذا جاءك الخبرُ بالأمكن ، فبادرْ بأدائها . ولك فيما بعدُ أن تعيدَ كَرَّةَ العيادةِ ، بحسبِ ما تسمعُ لك صلتك بالمريض أو بآله (١) .

٣ — الأليقُ في عيادة المريض ، ألاَّ تسلمَ عليه بالقول ، كيلاً تحوجهُ إلى الردِّ ، بل الزم السكوتَ إلاَّ ما يكونُ دعاءً له في نفسك ، أو استفهاماً عن حاله من الموطئين بتعهده .

أما إذا كان المريضُ قادراً على الكلام ، فاجعلْ سؤالك منه قاصراً على كلمةٍ أو كلمتين ، كان تقولُ له : « كيف أنت ؟ » أو « كيف أصبحت » . ولا تسترسل

(١) قل الصادق في بيان مواعيد العيادة: « لا تكون العيادة في أقل من ثلاثة أيام »

معه في الكلام بما يكون داعيةً تعبهُ، ولا تواجههُ ببيان ما يمكن أن تلاحظهُ على جسمه من النحول، أو على وجهه من امتناع اللون، وإلا جعلته قلق البال على صحته، وآيسته من نيل الشفاء.

٤ — إذا كنت في دور النقاهة من مرضك، وعدت مريضاً، فلا تجعل حديثك في مرضك، ولكن إظهر العناية والاهتمام بمن تعودهُ، إشاراً له منك على نفسك.

٥ — إذا عدت مريضاً تخفف، فربما سبقك سواك إلى عيادته، فنزل به لذلك شيء من الضيق.

ومما جاء في ذلك حديث: «أعظمكم أجراً في العيادة أخفكم جلوساً» وقول علي رضي الله عنه: «أعظم العباد أجراً من إذا عاد أخاه، خفف في جلوسه، إلا أن يكون المريض يحب ذلك، ويريدُه، ويسأله».

والنوادِرُ في وجوب هذا التخفيف كثيرة: أطال أحدُ العوَادِ الجلوسَ عند مريضٍ، فقال المريض: قد

تأذينا من كثرة الداخلين . فقال العائد ، أغلق الباب .
فقال المريض : نعم ولكن من خارج . وسأل أحدهم
مريضاً : ما تشتهي ؟ فأجاب : أن لا أراك . وأطال أحدهم
الجلوس عند مريض ثم سأله : ما أشد ما مرّ عليك في
مرضك ؟ فقال : قعودك عندي .

وفي الحقيقة فإن كثرة التعاهد ، سبب التباعد .

٦ - يحسنُ بالمريض ألا يشتكى الى عواده ، ما أصابه
من الآلام بقوله مثلاً : « لقد ابتليت بما لم يتل به
أحد » الخ ، بل يحسنُ به التمسكُ بأهداب الصبر ، لأن
شكواه لا تخففُ عنه المرض ، ولا تعفيه من الألم .
ومتى أتمَّ الله له الشفاء ، كان من دلائل اعترافه
بالجميل ، ومقابلته الفضل بمثله ، أن يزور عواده ،
ليشكر لهم عنايتهم به في مرضه .

٧ - إذا نزل بجمارك ، أو أحد معارفك ، مصابٌ

في ماله ، فخليقٌ بك أن تزوره ، عساك أن تخفف عنه

بحسن المواساة ، وجميل التوجع ، أعباء الهموم التي
أثقلت ظهره .

على أنك ، إذا واجهته : لا يليق بك أن تبادئه
الحديث فيما أصابه ، بل انتظر ريثما يفتحك بنفسه فيه ،
ولك عندئذ أن تأخذ بأسباب تسليته .

﴿ آداب التخاطب ﴾

١ - ينبغي في التخاطب حسن الفهم والأفهام ، مع
الأصغاء للمتكلم . قال حكيم لابنه : « يا بني تعلم حسن
الاستماع ، كما تتعلم حسن الحديث . وليعلم الناس أنك
أحرص على أن تسمع ، منك على أن تقول . واحذر أن
تسرع القول ، فيما يجب الرجوع عنه بالفعل ، حتى يقال
أنك على فعل ما لم تقل ، أقرب منك إلى قول ما لم تفعل »
وكان عبد الملك بن مروان ، يجمع في نفسه
فضائل الحديث ؛ فقد قال فيه واصفه : « ما علمته إلا
آخذاً بثلاث ، تاركاً لثلاث : آخذاً بحسن الحديث إذا

حَدَّثَ ، وَبَحَسَ الاستماع إذا حَدَّثَ ، وبأيسر المؤونة
إذا خولف ؛ تاركاً لمجاوبة اللئيم ، ومماراة السفية ،
ومنازعة اللجوج .

٢ - يراعى فى الكلام سنُّ المخاطب ، وعلمه ،
ومرتبته فى الهيئة الاجتماعية ، فالقاصر لا يخاطب بما
لا يفهمه إلاّ البالغ ، ولا الجاهل بما لا يدركه سوى العالم ،
ولا الصغير بما لا يليق إلاّ بصاحب المقام الكبير .

لأنه لما كان المقصود من الكلام ، تفهيم المخاطب
غرضاً من الأغراض ، فالخروج عن تلك الشروط ،
خروجٌ بالكلام عن القصد الذى يرعى اليه ، وتعجز
المخاطب عن فهمه ، أو تحقيره له .

٣ - يتفق لبعض الحاصلين على نتف من العلم ، أن
يدفعهم حبُّ الظهور والتميز بالبراعة فيه ، الى فتح أبوابه
أمام من يجهلونّه ، فيتناقى هؤلاء قولهم فيه بالجدل ، الذى
لا يثبت أن ينقلب الى خصام .

فاحذر إذاً أن تقصدَ الظهورَ والمباهاةَ من وراء
مارسيت ، وإلا وقعتَ في الرياء ؛ أو أن تعرضهُ على الجهلاء
كما يعرض التاجرُ سلعتهُ البائرةَ فلا يجدُ لها مشترياً ،
وتذكر في ذلك ، نصيحةَ الامامِ عليٍّ رضي الله عنه ، حيث
قال : « لا تحدثْ بالعلمِ السفهاءَ فيكذبوك ، ولا الجهالَ
فيستفتنوك ، ولكن حدثْ به مَنْ يتلقاهُ من أهلهِ بقبولٍ
وفهمٍ ؛ فإنَّ لعلمك عليك حقاً ، كما أن عليك في مالكِ
حقاً : بذلهُ لمستحقه ، ومنعهُ عن غيرِ مستحقه »

٤ — إذا مثلتَ بينَ يدَيَ كبيرٍ ، أو رئيسٍ ،
فليكن قولك له معبراً عن معنى الاحترامِ ، والأجلالِ ،
وخالياً من أثرِ التصنعِ ، والتكلفِ .
وإذا جلستَ إليه لتحدثهُ ، فلا تجعلِ كلامك إلا
جواباً على سؤالٍ ، إذ لا يصحُّ أن يكونَ كلامُ الصغيرِ ،
إلا جواباً على سؤالِ الكبيرِ .

٥ — إذا عنَّ لك ، أن تسألَ مخاطبك عن حالِ البعضِ

من أهله ، وكان من علاقته بك ، ما يجيزُ هذا السؤال ،
فتلطف في العبارة ، واجعل رائدك فيها محض الاهتمام
بأمره .

وليس للمرأة أن تسأل رجلاً عن حاله ، ما لم يكن
مريضاً أو شيخاً كبيراً .

٦ — إذا كان كلامك مع مخاطبك في قرينته ، فلا
تكنها ولا تسمها ، ولا تخاطبه فيها بمثل قولك : « قالت
زوجتك » أو « أرادت أم فلان » أو « فلانة » بالأسم
وإنما يقال كناية عنها : « قيل في الحرم » أو « في
الحجرة » أو « من وراء الستار » الخ .

ولك أن تتصرف بمثل هذا الأدب في كلامك
عن الأقارب الأقربين ، رجالاً ونساءً فتقول : « السيد
الوالد » أو « العم المحترم » أو « الوالدة المصونة » الخ .

٧ — لا يحسنُ بمهذب ، إذا أجاب على سؤال إيجاباً
أو سلباً ، أن يقتصر على قوله « نعم » أو « لا » . لاسيما

إذا كان لمخاطبه فضلُ السبقِ عليه في السنِّ ، أو العلم ، أو
خطورةُ الشأنِ .

بل خَلِيقٌ بمثله ، أن يردفَ إحدى هاتين الكلمتين ،
بكلمةٍ يستطاعُ السائلُ منها طلعُ المودةِ والاحترامِ ، كأن
يقولَ : « نعم أيها الصديق » أو « لا يا سيدي » الخ
وإذا كان صاحبُ السؤالِ من أربابِ المراتبِ ،
فليذكرْ في إجابته ما يشعرُ بمرتبته ، كأن يقولَ : « نعم
يادولةَ الأمير » أو « لا يا عطوفةَ الوزير » الخ

٨ — إذا وجهتَ خطابك بالاستفهامِ الى ذى مقامٍ
عالٍ ، أو الى من لم تتوثقَ بينك وبينه صلةُ المعرفةِ ،
ورابطةُ الإلفةِ ، فلا تخاطبه بالكافِ ، كأن تقولَ له :
« دولتك » أو « سعادتك » أو « حضرتك » الخ ؛ لأنَّ
هذا لا يكونُ إلَّا بين الأكفاء والنظرَاء . وإنما في
صيغةِ المفردِ الغائبِ ، كأن تقولَ : « أيأمرُ دولةَ الأميرِ
بكذا » أو « أيتفضلُ عطوفةُ الوزيرِ بكذا » الخ
ولا بأسَ من التخاطبِ بالكافِ ، بين الأصدقاءِ

الذين جمعهم لحة التنشئة في المدارس ، وبين الأخوة
والأخوات ، والزوج وزوجه ، لأنه أوضح في الدلالة على
وثوق عرى الإلفة والمودة بينهم .

أما الرئيس الذي يخاطب مرؤوسه بالكاف ، فأنما
ينتحل لنفسه حقاً لا يتفق مع الأدب ، ولا يطابق
واجب الأحرار .

٩ — غير جائز في شرعة الذوق ، إذا لم يتلقط سمعك
خطاباً موجهاً إليك ، أن تصدم الذي وجهه بقولك له :
« إه » أو « ماذا تقول » أو « كرّر ما قلت » الخ .

وإنما يليق بتربيتك ، إذا فاتك فهم ذلك السؤال ،
أو أخطأك سمعه ، أن ترجو من صاحبه تكراره ، في
الصيغة الآتية : « هل يسمح سيدي بأعادة السؤال ؟ » الخ .

١٠ — إذا جرت سياق الحديث ، إلى ذكر أناس أنت
واحدهم ، فواجب التواضع يحتم عليك أيراد اسمك في
آخرهم ، مجرداً من الألقاب .

وكفاك رفعةً أن ينطبق عليك قولُ القائل:

متواضعٌ والنبيلُ يحرسُ قدره

وأخو التواضعِ بالنباهةِ ينبلُ

١١ — حسبك أن تعدَّ من أصحاب الأناة والفطنة،

ألا تقطعَ على مخاطبك كلامه . ولا تظهرَ له جزعك من سماعه ، إذا لاح لك فيه ما يوجبُ الاعتراض .

فإن أدبَ التخاطبِ ، يتطلبُ منك ، أن تدعَ المتكلمَ حتى يتمَّ كلامه ، ثم تأخذَ بسردِ ما يعنُّ لك من وجوه الاعتراضِ ، بأدبٍ أساسه حسنُ الاعتذار ، وحسنُ القصد .

وليس من كرم الخلال ، أن تجبه في وسطِ كلِّ جملةٍ بقولك : « أخطأت » أو « زعمُ باطل » أو « قولٌ لا صحة له » ، أو أن تغتصبَ منه زمامَ الحديث ، بعد قولك له : « من غير قطع كلامك » ؛ فإنَّ هذا الاستدراك لا ينفي عنك تهمة أنك قطعتَه فعلاً .

١٢ — اجتنب في خطابك ، كلَّ ما يدعو إلى سوء

التأويل، من تشويش في ترتيب الجمل، أو تصحيف، أو
تورية الخ .

فأن سوء التأويل يولد سوء الظن، الذي يفضي غالباً
الى العناد والتجافى والخصومة، وينقض عقدة الإلفة بين
الأخوان، والأصدقاء المتصافين .

١٣ — من خصال الحلم والرفق والركة، ألا تتخذ في
مخاطبة الخدم والفقراء والأيتام، لهجة الآمر، وغلظة
المتجبر .

فأن على المرء نحو الضعفاء حقوقاً، ترجع الى فضيلة
الأحسان، التي ينبغي أن يعاملوا بها، في كل زمان ومكان .

١٤ — كثير من الكلام، إذا ورد على لسان المتكلم
نم على خلقه، وكفى السامع مؤنة البحث في أمره .

فالكذاب الذي يحس وهو يحدثك بكذبه،
لا يخلو كلامه من الحلف والتأكيد، وذكر الصدق،
والمطالبة بالتصديق .

والثرائر الذي إذا ملئت سماعه ، وهو يبدأ كل جملة
بقوله : « بالاختصار » « الحاصل » « الخلاصة » ثم لمح
منك ذلك ، قبض على يدك ، أو أمسك بأطراف
ثوبك ، أو بأزرارك ، ليجبرك على سماعه .
خاذر إذا ، أن تقول قولاً يسؤك أن يأخذه
سامعك ، للحكم عليك بنقيصة من النقائص ، التي لا تود
أن يصمك بها الناس .

قال اللورد شسترفلد لولده : « يا بني لا تقبض يد
أحد ، ولا تمسك بأطراف ثوبه ، إجباراً له على سماع قولك ،
لأن الأولى بك ، إذا كان لا يرغب في كلامك ، أن
تمسك لسانك ، لا أن تكلف بمسك ثيابه بنانك » .

١٥ من محاسن الكلام ، ألا تكلف في التعبير
باللغة العربية ، لهجة تجعلها أقرب الى لهجة إحدى اللغات
الافرنكية ، تلتبس بذلك تقليد أصحاب هذه اللغات في
حروفهم . فلا يفهم قولك أبناء لغتك ، ولا الذين تفتخر
بتقليد هم .

ومن محاسنه ، ألا تجعله خليطاً من جمل عربية وإفريقية ، فتحمل سامعك على الاعتقاد بأن لغتك غير وافية بحاجة المتكلم في التعبير عن المراد ، وتسنُّ سنة ، إذا أخذ بها غيرك ، عدواً من المفرطين في لغتهم ، وبالتالي في وحدة ذاتهم .

﴿ آداب الحديث في المجالس ﴾

١ — لا يكفي في الحديث ، ما دام الغرض منه الأفضاح عن المراد ، أن يوافق تركيبه الصراحة وقواعد الأعراب فقط ، بل أصول الأدب واللياقة ، التي تصان بها العادات المرعية ، والتقاليد المتبعة .

فينبغي إذاً ، أن يكون أساس الحديث في المجالس ، الاستقامة والفائدة ، سواء أكان موضوعه بحثاً في مصلحة ، أم مباشرة بالكلام ، على سبيل التودد وترجية الأوقات .

٢ — يجبُ في المجالسِ الحذرُ من فائتِ اللسانِ ،
إما بالتحفظِ في القولِ ، فلا ينبسُ المتكلمُ بكلمةً ، ما لم يزنِها
بميزانِ الرويةِ والتبصرِ ، وإما بالسكوتِ إذا عهدَ من
نفسه العجزُ ، لأنَّ حظَّ المرءِ من الصمتِ له ، بخلافِ
حظه من الكلامِ ، فإنه لغيره ، ووبَّاله راجعٌ عليه
وما أحسنَ ما قاله أحدُ الحكماءِ : « إنني أملكُ
الكلمةَ فإذا تكلمتُ بها ملكتني »

وكم من ملزمِ الصمتِ في المجالسِ ، وصفه الناسُ
بحسنِ السمْتِ ، ونخلوه بنحلةِ العلمِ والعقلِ ، حتى ذاتكلمِ
دلت الأَقوالُ ، على الأحوالِ ، وهتكَ المقولُ ، قناعَ
العقولِ .

كان رجلٌ يحضرُ مجلسَ القاضي أبي يوسف ، ويَطِيلُ
السكوتَ فسأله : ما لك لا تتكلمُ ولا تسألُ عن مسألة ؟
فقال : أخبرني أيها القاضي متى يُفطرُ الصائمُ ؟ فقال : إذا
غابتِ الشمسُ . فقال : فإن لم تغبْ إلى نصفِ الليلِ ؟
فتبسمَ أبو يوسف وتمثلَ بقولِ الشاعر :

وفي الصمت زينٌ للغيِّ وإنما

صحيفة لبّ المرء أن يتكلما

٣ - إذا كان الصمت ستاراً للجاهل ، ووقاية

لمصاحب العجز والعمى من شرّ الفضيحة في المجالس ، فإنه
زينة النساء والأطفال ، والضالة التي ينبغي لهم أن
ينشدوها على الدوام .

طلب إلى مدام داسييه ، وكانت من أشهر نساء
عصرها في الأدب والعلم والفضل ، أن تكتب سطرًا في
صحيفة تذكّر الزيارة أدتها ، فكتبت : « حلية النساء
الصمت »

وليس للأطفال الحديث في المجالس إلا بأذن ،
أو جواباً على سؤال . وينبغي أن تشعر حركاتهم
وأقوالهم بالاحترام والرصانة ، فلا يرفعون أصواتهم ، ولا
يضحكون إلا تبسماً عند المناسبة ، ولا يتخذون أوضاعاً
لا تتفق مع أعمارهم .

٤ — من الحصافة وحسن الرأي ، أن يكون الاستماع أحبَّ الى الإنسان من النطق ، وأن يكون كلامه ، إذا تكلم ، بقدر ما يبلغ به حاجته من التفهيم ، وإلا وقع في فضول الكلام ، الذي كثيراً ما يفضي الى هلاك المرء ، كفضول المال سواء .

تكلم رجلٌ عند النبي عليه الصلاة والسلام ، فأكثر . فقال له : كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال : شفتاي وأسناني . قال : أفما كان لك في ذلك ما يردُّ كلامك ؟ ما أوتي رجلٌ شرّاً من فضل في لسانه :

وقال الحكميُّ لوساج^(١) : « ينبغي لنا أن نزن كلامنا بالذهب » ، أراد بذلك أنه ينبغي أن يكون حرص المرء على كلامه ، كحرصه على ماله .

والأطالة في القول لا تجوز ، إلا إذا رُمي بها الى غرض محمود . قال تعالى : « لا خير في كثير من نجواهم

(١) لوساج (ألين رينيه) من كبار الكتاب والفلاسفة الفرنسيين ولد سنة ١٦٦٨ وتوفي سنة ١٧٤٧ ومن مؤلفاته التي اشتهر بها قصة (جيل بلاس) ورواية (توركاريه) المضحكة

إلا من أمرٍ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس .

٥ — إياك وتعقيب السؤال بالسؤال في حديثك ،
فأنك لاتأمن مع توالى الأسئلة ، أن يفرط منك سؤال
لاتسرك الأجابة عليه .

لذا يحسن بالسائل ، أن يزن كل سؤال قبل أن
يوجهه الى مخاطبه ، وأن يمسك عن الأسئلة المريبة .

على أنه إذا لم يكن بد من السؤال ، فليكن في
قالبينى عنك مظنة سوء القصد ، فيما إذا سألت محدثك
ولم يرق له سؤالك ، كأن تقول « هل من بأس إذا
سألتكم عن كذا » « أتجد غضاضة في الأجابة على
كذا » الخ

واجتنب عادة الفضوليين ، الذين كلما انتهوا من جملة ،
سألوا السامعين إذا كانوا يفهمون ما يقولون .

٦ — إذا سئلت ، فلا تتدبر الجواب ابتداراً ، بل
ترو فيه على شريطة ألا تبطئ في ذلك كل الأبطاء ،

وإلاَّ عدَّ السائلُ سكوتك الطويلَ عجزاً عن الجواب .
ولتكن من التواضع في إجابتك ، بما يرفعك في عينِ
محدثك .

وإذا كان في السؤال ، ما تعلم أن في الأجابه عليه
إفشاء لسرٍّ مكتوم ، أو تعريضاً بشخص غائب ، فتلطف
ما استطعت في التنصل من الجواب .
فإذا ألحف السائلُ في سؤاله ، وأبى إلاَّ الجواب ،
فاجبه بأنك لا تحيطُ بالأمرِ علماً ، أو أنك تعلمه ولكن
ترى من الصواب السكوت عنه ، ثم ناج نفسك بقول
القائل :

وما زلتُ في الكتمانِ حتى كأني

برجع جواب السائلِ عنه أعجم

٧ - لا تستأثر بالحديث ، ولا تملك على السامعين

أطرافه ، حتى تلزمهم الصمت ، وتضطرهم للأصغاء بالرغم
منهم .

لأنَّ هذا خلقُ الثرثار الفضوليِّ ، الذي يخلقُ به أن

يُسمع قولَ أحدِ الحكماء : « أنصف أذنك من فيك ، فإنما جعل لك أذنان اثنتان ، وفم واحد ، لتسمع أكثر مما تقول » .

٨ — إذا كانَ محدِّثُكَ ثرثارةً ، فادفعْ عنكَ مللَ الاستماعِ بالصبرِ الجميلِ ، ولا تقطعْ عليه قولةً ؛ ولكنَّ تحيلاً على الخروجِ بالحديثِ إلى مقصدٍ آخرَ ، يضطرُّه إلى الاختصارِ ، أو تُلطفْ في الاعتذارِ عن استماعِ بقيةِ الحديثِ .

٩ — إذا سنحتْ فرصةٌ للكلامِ في موضوعٍ قتلتهُ علماً ، وأنستَ من محدِّثِكَ إقبالاً على سماعِهِ ، فلا بأسَ من الكلامِ فيه مع البيانِ .

وإذا رجا هو منك ذلكَ ، فعجلْ بتحقيقِ رجائه ، متى لاحَ لك أنَّ رغبتهُ هذه ، لم تكنْ عن تصنعٍ أو محاباةٍ لك .

١٠ — أثقلْ الأحاديثِ على الأذنِ ، الحديثُ المكرَّرُ ؛ على أنْ تكررَهُ لا يبيحُ لك إسكاتِ الحديثِ ،

لا سيما إذا كان شيخاً كبيراً أو صاحبَ شأنٍ خطيرٍ .
ويحسنُ بالمحدث ، إذا داخله شك في سبق الخوض
في ذلك الحديث ، أن يسألَ سامعيه إذا كانوا على علم
به ، ليتكلم أو ليحجم .

١١ — إذا جرّ الحديث إلى ضربٍ مثلٍ ، أو إنشاءٍ
تشبيهٍ ، فاعرض ما يعنّ لك من ذلك على محكِّ الذوق ،
قبل أن ينطلق به لسانك ، فانك لا تأمنُ أن يكونَ في
ذكر أحدهما ما يؤلمُ سمعك .

فلا يليقُ بك إذاً ، أن تقول مثلاً في حضرة
طيب : « اسأل مجرب ولا تسأل طيب » الخ

١٢ — لا يؤذى السمع ، وينفرُ الطبع ، مثل قول
المتشذِّق المتفاح ، الذي يتكلفُ السجع حيث لا يلزمُ في
فهم حديثه ، إلاّ القولُ المرسل ، والكلامُ الذي يتواردُ
عفوّاً على اللسان ، للتعبير عما يدورُ في الجنان ، ويتصنعُ
الفصاحة حياءً في الظهور والتميز على الأخوان .

فاحذر كلَّ الحذر ، أن تقتدى بأولئك المتشدقين المتكلفين ، الذين وردَ في حقهم حديثُ : « أن أبغضكم الى ، وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام »

١٣ — كثيرٌ من الناس يلقون القول ، إذا تحدّثوا ، على عواهنه ، لا يبالون من أين أخذوه ، إما لسذاجة فطرية فيهم ، تنزلُ بهم الى دركِ البلاهة ، وإما لجهلٍ منهم بأحوال الزمان والمكان ، فيتخذُ سامعوهم هذه الزلة فرصةً لتغييرهم ، والتنديد بهم ، والتهمك عليهم .
وهي خلةٌ يجبُ عليهم ، إذا كانوا ممن نشأوا نشأةً حسنةً ، اتقاؤُها والبعدُ عنها ، لأنها فضلاً عن منافاتها للمروءة والأحسان ، تورث الضغائن والاحقاد في الصدور .

١٤ — من كمال الأدب ، ألا تهوَّشَ على أحدٍ في كلامه ، ولا تقطعه عليه ، بل كن كما طلب أحدُ الملوك

من نديمه : « إذا حدثك فلا تقطع على الحديث ، بل
أرني فهمك في نظرك »

وإذا سئل غيرك ، فلا تجب أنت عنه ، وإذا
حدثك بحديث ، فلا تقتحم عليه فيه ، ولا تره أنك
تعلمه ، وإذا كلمته فأخذته حجتك ، فحسن مخرج ذلك
عليه ، ولا تظهر الظفر به ، وإذا شرعت في الحديث ، فلا
تخذ أوضاع الأدياء ، ولا تتكلف هيئات العارفين
بأسرارهم ، والقابضين على ناصيته ، ولا تتكلم بلفظ غير
التي يفهمها الحاضرون ، ولا تسر لأحد الحاضرين كلاماً
في أذنه .

وإذا داعب جفونك الناس ، فعجل بالانصراف ،
كيلا تعرض نفسك للاستهزاء ، بنومك بين اليقظين .
ولا تسأل عن الوقت ، ولا تنظر في ساعتك ما لم تكن
واثقاً بمخلو سؤالك أو حركتك ، من أثر يدل على تضجرك

﴿ آداب صوره اللسان ﴾

١ — أَرَأَيْتَكَ لَوْ سَمِعْتَ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ ، أَوْ شَهِدْتَهُ يَنْدَسُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُحَدِّثِكَ ، لِيُشَارَكَكَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ حَدِيثِكَ ، أَكُنْتَ تَشْتَهِي الْاِقْتِدَاءَ بِهِ فِي فَعْلِهِ ؟
إِنِّي لَا رِبَاءُ بِكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ كَثَافَةِ الطَّبَعِ ، وَثِقَلِ الرُّوحِ ،
بِحَيْثُ تُشَبِّهُ هَذَا الرَّجُلَ ، إِذْ لَيْسَ فِي عَيُوبِ النَّاسِ مَا هُوَ
أَدْعَى إِلَى احْتِقَارِهِمْ ، مِنْ الْاِشْتِغَالِ بِمَا لَا يَعْنِيهِمْ ، وَإِضَاعَةِ
الْوَقْتِ فِيمَا لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِهِ .

وإنه لجديرٌ بمن ابتلى بتلك الآفة ، أَنْ يَسْكُتَ عَنْ
بَعْضِ مَا يَعْنِي ، حَتَّى يَعْتَادَ لِسَانُهُ تَرْكَ مَا لَا يَعْنِي .

٢ — إِذَا جَرَّ سِيَاقَ الْحَدِيثِ ، إِلَى ذِكْرِ عَيُوبِ
يَسْتَحْيَا مِنْهَا ، أَوْ تَقَرَّرَ فِي نَفْسٍ مِنْ ذِكْرِهَا ، فَمَا أَغْنَاكَ عَنْ
التَّصْرِيحِ بِأَسْمَائِهَا ، تُرْضَى السَّامِعَ وَالْمُصَابَ بِهَا .

وَيَكْفِي أَنْ تَقُولَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْهَا : « الْعَارِضُ الَّذِي

يشكوهُ فلانٌ» أو «النازلُ الذي نزلَ به» الخ
وفي القرآن الكريم أكثرُ من آيةٍ كنى فيها عن
الآفاتِ المستقبحةِ ، بأرقِّ الألفاظِ كآية : « اضمم يدك
إلى جناحك ، تخرج بيضاء من غير سوء » يريدُ به البرصَ
وهو آفةٌ تشمزُّ منها النفسُ ، لمجردِ سماعِ هذا اللفظِ الدالِّ
عليها .

ودخل رجلٌ على أميرٍ ، وفي وجهه أثرٌ . فقال الأميرُ :
ما هذا الأثرُ الذي في وجهك ؟ قال : ركبْتُ فرسي الأشقرَ
فجمحَ بي . فقال الأميرُ : أما أنك لو ركبْتَ الأشهبَ لما
فعلَ . فكنى الرجلُ عن الأشقرِ بالنبيذِ . وكنى الأميرُ عن
الأشهبِ باللبنِ .

وإذا كان محدثك مصاباً بعاهة بدنية أو أدبية ، فلا
تعيده بما تعلمه منها فيه ، فإنَّ التعبيرَ بالعيوبِ ، أدعى إلى
وجودِها في المعيرِ ، إذا لم تكن فيه .

٣ — تنبيهك إلى عيوب غيرك ونقائصه ، على وجه
تقصدُ به إثارة الضحك ، إما بالمحاكاة في الفعل والقول ،

وإما بالآشارة والأيماء، ينافي المروءة والشهامة، ويوجب لمصاحبه الهوان والمقت.

وقد نهى عنه في قوله تعالى: «يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ»

فحاذر إذا متى التقيت بشخص مشوه الصورة مثلاً، أو رأيت بين رفاقك من لم ينتظم عمله، أن تسخر منهما بقصد الاستهانة والتحقير، بل احترم الاعمى احترامك للبصير، فرب عيب تسخر منه وأنت موضع السخرية فيه لغيرك بدون أن تشعر.

٤ — للدين مقام محمود، ومرتبة تسمو على جميع المراتب، فلا تغفل إذا عن إجلاله، باتقاء القدح فيه، ولا عن احترام أهله باجتنب الطعن عليهم، ولو بدر من أحدهم في حقك ما يوجب استيائك. ويدعو إلى احتجاجك لأنك إذا كنت مأموراً بالعفو عن يسي إليك، فأولاهم بعفوك أولئك الذين نصبوا أنفسهم للأرشاد،

وانقطعوا لخدمة الحقيقة

هـ - لا تدنس لسانك بالغيبة ، كأن تذكر أخاك ،
إذا غاب ، بما لا تحب أن تذكر به ، أو تعيبه بما يحتمل أن
يكون لاحقاً بك من العيوب .

لأن من يغتاب غيره يكون كمن يأكل لحمه « وقد
حرّم الله أكل لحم الأنسان كما حرّم ماله ودمه » ،
صدق الحديث الشريف .

فعلى كريم الأخلاق ، ألا يدع أحداً يغتاب غيره حتى
ينبرى للدفاع عن كرامته ، وليتفرق بالمغتتاب في زجره عن
فعله ، فإما أن ينتهي ، وإما أن يعجل بمفارقة مجلسه

قال اعرابي لمغتتاب : « استدلت على كثرة عيوبك
بما تكثر من عيوب الناس ، لأن طالب العيوب يطلبها
بقدر مافيه منها » . وقال الشاعر :

وأجراً من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال أولو العيوب

٦ - ما أشنع النيمة ! وما أخط نفس النمام ! وما

أوخم مصرعه ! وإن على الباغي تدور الدوائر .

تكون مطمئناً ناعم البال ، فيسعي بك عند أقرب
الناس اليك ، كأبيك أو أخيك ، فإذا بنارِ العداوة قد
شب بينكما ضراً أمها ، وزاوية الخلف قد ازداد انقراضها
بل قد تكون الأمة ، على أحسن ما يكون من
العلائق مع جارتها ، فتكفي كلمة سعاية بها عندها ، ليكون
بينهما ما يكون من تأثير الشرر في الحشيم ، إذا هبت
الأعصار .

وإنه خلاقٌ بصاحب الأخلاق الطاهرة ، والأعراق
الزكية ، ألا يقبل النعمة ، لأن قبول النعمة ، شرٌّ من
النعمة نفسها .

وما أحسن ما ردَّ به الخليفة المعتصم (١) على رجل
كتب إليه على سبيل الوشاية ، أن فلاناً مات وخلف

(١) أبو اسحق محمد المعتصم بن هارون الرشيد هو ثامن الخلفاء من بني
العباس بويح له بالخلافة (سنة ٢١٨ هـ — ٨٣٣ م) وتوفى (سنة ٢٢٧ هـ
— ٨٤٢) كان شديداً يحمل ألف رطل ويمتلى بها ضعيف القراءة والكتابة .
وهو أول من أدخل الأتراك الدواوين وألبسهم الذمب والديباج وبني لهم مدينة
(سر من رأى) بقرب بغداد . وفتح عمورية بعد أن قتل من الروم ٣٠ ألفاً
وأسر ٣٠ ألفاً . ويقال له المئتمن لدخول رقم ٨ في اثني عشر عدداً تتعلق به منها
أن أولاده ثمانية ذكور وثمانى بنات الخ

مَالاً كَثِيراً ، وَلَا وَارِثَ لَهُ غَيْرُ ابْنٍ وَاحِدٍ . يُرِيدُ بِذَلِكَ
حُثَّهُ عَلَى اسْتِخْلَاصِ مَالِهِ لِنَفْسِهِ ، فَأَجَابَهُ الْخَلِيفَةُ بِقَوْلِهِ :
« أَمَّا الْمَالُ فَتَمَرُّهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الْمِيتُ فَرَحْمَةُ اللَّهِ ، وَأَمَّا
الْيَتِيمُ فَأَنْبَتُهُ اللَّهُ . وَأَمَّا السَّاعِي فَلَعْنَةُ اللَّهِ »

٧ — جَانِبِ الْكَذْبِ فِي أَقْوَالِكَ ، إِذْ كُنِيَ بِالْكَذْبِ
نَقِصَةً أَنْ مَنْ يَشْتَهَرُ بِهِ لَا يَجُوزُ صَدَقُهُ ، فَإِذَا عَاقَدَ
لَا يُوَثِّقُ بِعَقْدِهِ ، وَإِذَا وَاْعَدَ لَا يُسْكِنُ إِلَى وَعْدِهِ ، وَإِذَا
تَظَلَّمَ تَسَرَّعَتْ إِلَيْهِ التَّهْمَةُ . وَإِذَا تَأَلَّمَ تَبَاعَدَتْ عَنْهُ الرَّحْمَةُ .
وَاحْذَرِ أَنْ تَجْعَلَ عَذْرَكَ فِيهِ ، أَنْكَ أَرَدْتَ بِهِ الْمُبَاسِطَةَ
وَالْمَزْحَ ، لِأَنَّ الْكَذْبَ كَمَا لَا يَجُوزُ فِي الْجِدِّ ، لَا يَجُوزُ فِي
الْهَزْلِ ، وَالْمُتَّفَكُّهُ بِهِ إِنَّمَا يَنْمُ عَلَى طَبِيعَةٍ فِيهِ مَرَكِبَةٌ مِنْ
الطَّيْشِ ، وَالْعِبَاوَةِ ، وَالْغَفْلَةِ .

قَالَ أَرِسْطُو : « فَضْلُ النَّاطِقِ عَلَى الْآخَرَسِ بِالنَّطْقِ
وَزَيْنُ النَّاطِقِ الصَّدَقُ ، فَالْآخَرَسُ الصَّامِتُ خَيْرٌ مِنَ
النَّاطِقِ الْكَاذِبِ » وَأَوْصَى الْمُسْتَرَشِدُ ^(١) ابْنَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ ،

(١) هُوَ الْإِمَامُ ٢٨٨ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَلِيَ الْخِلَافَةَ (٥١٢ هـ - ١١١٨ م)
وَقِيلَ السَّلْطَانُ مَسْعُودُ السَّلْجُوقِي غِيلَةَ (٥٢٨ هـ - ١١٣٤ م) كَانَ شَجَاعاً وَدِيناً

فقال له : « يا بني إن أردت المهابة فلا تكذب ، فإن الكاذب لا يهاب ولو حُفَّ به مائة ألف سيف »

٨ — الصدق في الكفة الراجحة من ميزان التول ، والكذب في الكفة المرجوحة ، فعود نفسك مجانبة الكذب ، يجيء الصدق عفواً على لسانك .

ولا تخش وعيد من يريد صرفك عن الصدق ، فإنك بالشجاعة التي يبثها الصدق في نفسك ، قدير على قهر خصمك ، فإذا لم يوافقك الفوز سريعاً ، فهو لا بد موافيك ، مهما طال الأمد .

قال بعض الحكماء : « عليك بالصدق ، فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع ، بأعز من الصدق ، والصدق عزٌّ وأن كان فيه ما تكره ، والكذب ذلٌّ وإن كان فيه ما تحب ، ومن عرف بالكذب ، اتهم في الصدق »

ومن أطف نوادر الصدق ، أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني استسرُّ مخلاًل السرقة

وشرب الخمر والكذب ، فأيهن أحببت تركته . قال
دع الكذب . فمضى الرجل فهم بالسرقة . فقال : يسألني
رسول الله ، فأن جحدتُ نقضتُ ما جعلته له وإن أقررتُ
أحددتُ فلم يسرق . فهم بشرب الخمر والكذب . ففكر في
ذلك ، فرجع إلى رسول الله ، فقال له : لقد تركتهن أجمع .
٩ — ليس من صدق القول في شيء ، أن يذهب

المتكلم في صراحة القول مذهباً يترتب عليه إفشاء ما
ينبغي كتمانها ، أو أن يخرج منه إلى الأضرار بالناس ، أو
السقوط في الغيبة الذميمة .

وخلق به أن يكون من الفطنة واليقظة عند الكلام ،
بحيث يهتدى سريعاً إلى المواقف التي يكون الكلام
فيها صدقاً ينفع إعلانه ، أو صراحة لا يناسب الجهر بها
واحذر التعريض بكرامة سامعه . ولو كان فيه
ما يطابق الواقع ، لأن مواجهة الإنسان غيره بعيد
فيه ، أو بحقيقة مؤلمة نقص في المروءة ، وستنوط في الهممة .
وإذا لاح له أن يلوم أحداً لسبب ما ، فليتحين

لذلك أنسب الفرص زماناً ومكاناً، فربّ لوم في الغدي يكون
أشدّ وقعاً منه اليوم ، وفي الخلوة أنفع منه أمام الناس .
١٠ — دع المزح والتنكيت ما استطعت ، إلاّ

ما يحجىء منهما عفواً على اللسان . بشرط التحفظ ، وعدم
الاستغراق في الضحك . وأن يكون القصد منها التبسط
والمطايبة .

على أنهما إذا جازا ، فإنما يكونان بقدر ما يكفي
لتعليل الطباع المكدودة ، والقلوب المتعبة ، فإن من
التفكه بالمزح ما هو نزهة النفس ، وربيع القلب ،
ومجلبة السرور والراحة .

والمزح والتنكيت لا يجوزان بالمرّة في الاجتماعات
الجدية الراقية ، مها يكن الموضوع الذي يجرّ اليهما ،
ولا القالب الذي يوضعان فيه .

واعلم أن الأكثر من المزح يسقط الهيبة ،
وأن ممازحة العظيم ، تُورث ضغينته لك ، كما أن ممازحة
الذنيّ ، تدعو الى اجترائه عليك .

١١ — إِحْذَرُ أَنْ تَجْعَلَ كَلِمَاتِ اللَّهِ مَوْضِعَ هَزْلِكَ
وَدَعَابَتِكَ ، فَلَا تَسْلُطْ عَلَيْهَا التَّحْرِيفَ وَالْجُنَاسَ ،
وَالْتَوْرِيَةَ ، وَغَيْرَهَا مِنْ حِيلِ الْكَلَامِ الَّتِي تُخْرِجُهَا عَنْ
مَقَاصِدِهَا الشَّرِيفَةِ ، حُلْبًا لِلْهُوِّ ، وَتَرْجِيَةً لِلْوَقْتِ فِي الْمُبَاسِطَةِ .
لَأَنَّكَ بِفِعْلِكَ هَذَا ، تَجْرُؤُ إِلَى نَفْسِكَ ، كَرَاهَةً لِلنَّاسِ
وَاتِّهَامَهُمْ إِيَّاكَ بِالْكَفْرِ ، وَالزُّنْدَقَةِ ، دَعِ غَضَبَ اللَّهِ وَمَقْتَهُ .

١٢ — مِمَّا يَسْتَمِيلُ إِلَيْكَ الْقُلُوبَ ، وَيُوجِبُ لَكَ
التَّوْقِيرَ ، مَجَانِبُهُ وَجُودِ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ ، كَالْكَلَامِ فِي
الْمَعَاصِي ، وَالتَّفَكُّهِ بِأَعْرَاضِ النَّاسِ ، وَإِفْشَاءِ الْأَسْرَارِ ، وَهُوَ
أَضَرُّ هَذِهِ الْوُجُوهِ بِمَنْ يَفْشِيهَا ، وَأَدْعَى إِلَى الْإِصَاقِ تَهْمَةِ
الْخِيَانَةِ بِهِ ، إِذَا الْحَدِيثُ أَمَانَةٌ ، وَمِنْ الْخِيَانَةِ أَنْ يَحْدِثَ
الْمَرْءُ بِسَرِّ أَخِيهِ .

أَسْرَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عْتَبَةَ حَدِيثًا ،
فَقَالَ هَذَا لِأَبِيهِ ، يَا أَبَتِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْرَ لِي حَدِيثًا ،
وَمَا أَرَاهُ يَطْوِي عَنْكَ مَا بَسِطَهُ إِلَى غَيْرِكَ قَالَ : لَا تَحْدِثْنِي
بِهِ فَإِنَّ مِنْ كَتَمِ سِرِّهِ ، كَانَ الْخِيَارُ إِلَيْهِ ، وَمِنْ أَفْشَائِهِ ، كَانَ

الخيارُ عليه . قال : فقلتُ يَا بَتِ وَإِنْ هَذَا لِيَدْخُلَ بَيْنَ
الرَّجُلِ وَابْنِهِ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا بَنِي ، وَلَكِنْ أُحِبُّ
أَلَّا تَذَلَّ لِسَانُكَ بِأَحَادِيثِ السَّرِّ . قَالَ : فَأَتَيْتُ إِلَى
مَعَاوِيَةَ فَأَخْبَرْتَهُ . فَقَالَ : أَعْتَقْتُكَ أَبُوكَ مِنْ رِقِّ الْخَطَا ،
فَإِنْ إِفْشَاءَ السَّرِّ خِيَانَةٌ ، وَهُوَ حَرَامٌ إِذَا كَانَ فِيهِ إِضْرَارٌ ،
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِضْرَارٌ .

﴿ آداب المناظرة والمناظرة في المجالس ﴾

١ — إِذَا نَزَلْتَ فِي مِيدَانِ الْمُنَاقَشَةِ مَعَ غَيْرِكَ ، فَلَا

تَقْصِدْ تَعْجِيزَهُ وَتَقْيِصَهُ ، بِالْقَدَحِ فِي كَلَامِهِ وَنَسْبَتِهِ إِلَى
الْجَهْلِ ، لِتُبَيِّنَ فَضْلَكَ عَلَيْهِ ، بَلْ اجْعَلْ رَأْيَكَ حُبَّ الْأَفَادَةِ
وَالِاسْتِفَادَةِ ، أَوْ إِيضَاحِ الْمَغْمُضِ أَوْ نَصْرَةِ الْحَقِّ ، وَإِلَّا
خَرَجْتَ مِنْ قَصْدِ الْبَحْثِ ، إِلَى تَرْكِيَةِ نَفْسِكَ ، وَإِظْهَارِ
فَضْلِكَ بِتَمْزِيقِ مُنَازَرِكَ وَصَدْمِهِ وَإِيْدَائِهِ .

٢ — إِذَا لَزِمْتَ أَحَدَ الْمُتَنَازِلِينَ الْحُجَّةَ مِنْ مُنَازَرِهِ

فلا يظهرن له المراء^(١) والعناد ، إذعاناً لما تذهب إليه نفسه
من دعوى العلو والكبرياء ، لأنه يهيج غضبه بذلك ،
ونحمله على أن يعود إلى نصرته كلامه ، بما يمكنه من حق
أو باطل ، وأن يقدح فيه فيثور بينهما الشجار ، ويكون
من أمرهما كالكلبين اللذين يثور بينهما الهراش ، ويقصد
كلاهما أن يعض الآخر .

وخلق بالفطن اللبيب إذا ألزم خصمه الحجة فلم
يقتنع بها ، أن يتلطف في الخروج من ميدان المناقشة ،
بدون أن يظهر له حرج صدره ، ولو كان في مناقشته معه
سفيهاً لجوجاً .

٣ — كن في مناقشتك شديد الاستمساك بالحلم
والمروءة ، فلا تفه بكلمة إلا بعد الوثوق من مطابقتها
لأصول الأدب الصحيح .

وإذا كان مناظرُك ممارياً ، فتوق ما عسى أن يدفعك
إليه مراؤه ، من التعجيل في الرد عليه بتكذيبه ، أو بأغضابه

(١) المراء هو الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلافه (أو في اللفظ وأما
في المعنى وأما في قصد المتكلم

فتصيرُ مُمَارِيًا مثله ، وإذا رأيتَ الصوابَ في إنكار ما يقوله
فلك أن تجهرَ به على شرطِ ألا تصدمه ، ولا تهجمَ عليه .

٤ - لا تتكلفِ الازدراءَ بما يلقى عليك مناظرُك

من وجوه الاعتراض ، مادام المقامُ مقامَ استفادة أو إحقاق
حقٍّ ، لا معرضَ عناد أو مكابرة . ولا تأخذَ نك هزّةً

الغضبِ مما يقول ، لأنَّ الغضبَ إذا تمكن من النفس ،

حال دونَ تقدير قول الغير ، فيظنه الغاضبُ خطأ ، وما

هو إلا الحق الصراح ، ومن ثمَّ يتعرضُ لسقطات اللسان .

٥ - يحسنُ أن تجعلَ التواضع والصراحة شعاراً

لك في قولك ، سؤالاً وجواباً ، إذ تستطيعُ الاستظهارَ بهما

على مناظرِكَ ، بدون أن يرى غضاضةً عليه في قهرِكَ ، إياه .

وخليقٌ بكما ، متى لاحَ لكما فسادُ القضية التي

يعزّزها كلاكما يراهينه وآرائه ، أن تطرحاها جانباً . وتبحثا

فيما هو أصلح وأتفع .

٦ - إذا أقرَّ خصمك بخطأه ، وفاءً إلى الحق من

نفسه ، فقد وجبَ عليك احترامه وإكرامه ، وألا تملأ

ما ضنيك فخراً بالفوزِ عليه ، فربما دعاهُ فَعَلَكَ الى الندَمِ
على اعترافه بِمِخْطَأِهِ وَفَيْتَهُ الى الحقِّ ، وإِذْ كَانَ الرِّجُوعُ الى
الحقِّ فُضِيلَةً ، فَكَأَنَّكَ تَعْقُ الْفُضِيلَةَ بِذَلِكَ .

٧ — إِذَا اسْتَدْرَكَ عَلَيْكَ أَحَدُ سَامِعِيكَ زَلَةً فِي
حَدِيثِكَ ، أَوْ خَطَأً فِي تَصَوُّرِكَ أَثْنَاءَ كَلَامِكَ ، فَلَا تَنْقَمْ عَلَيْهِ ، لَا سِيَّمَا
إِذَا جَعَلَ اللَّطْفَ وَحَسْنَ الْإِشَارَةِ ، رَائِدِينَ لَهُ فِي اسْتِدْرَاكِهِ .
عَلَى أَنْ الَّذِي يَنْقَادُ إِلَى الْغَضَبِ لِذَلِكَ السَّبَبِ ، إِنَّمَا يَنَادِي
بَطِيْشِهِ وَحَقِّهِ ، وَيَعْلَنُ عَنْ كِرَاهَتِهِ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ .

٨ — مَنْ كَمَالَ الْأَدَبَ أَلَّا تَعْطَى رَأْيًا فِي مَنَاقِشَةٍ ثَارَ
ثَائِرُهَا بَيْنَ طَرَفَيْنِ ، إِلَّا بِدَعْوَةٍ مِنْ أَحَدِهِمَا أَوْ مِنْ غَيْرِهِمَا ،
عَلَى شَرْطِ التَّحْفِظِ وَالْإِحْتِيَاظِ ، وَبِدُونِ أَنْ تَعْطَى لَقَوْلِكَ
صِبْغَةَ الْحُكْمِ الْجَازِمِ ، بَلِ الزَّمُ دَائِمًا حُدُودَ الْإِحْتِمَالِ
وَالْتَّخْمِينِ ، كَيْ تَجِدَ لِنَفْسِكَ مَخْرَجًا مِنْ بَيْنَهُمَا ، فِيمَا لَوْ طَعَنَ
فِي رَأْيِكَ ، أَوْ أَلْقَيْتَ تَبِعْتَهُ عَلَيْكَ .

وَإِذَا كَانَ الْإِحْتِيَاظُ لَا زَمًا مِنَ الْكِبَارِ ، فَهُوَ مِنْ صِفَاتِ
السَّنَةِ ، الَّذِينَ لَمْ تَهْذَبْهُمْ التَّجَارِبُ ، أَلْزَمُوا وَأَوْجَبُوا .

٩ - إذا أعطيت رأيك ، فلم يرق للحاضرين جميعاً ولم تجد من بينهم نصيراً لك فيه ، فإن هذا الأجماع يدل على أنك لم تصب فيه شاكلة الصواب والحق .
لهذا يحسن بك الجهر بالرجوع عن الانتصار له ، والدعوة إليه ، وإلا خرجت الى الأعجاب بالرأي ، والمراءى الذى قال فيه أحد الحكماء : « كفى بك إثماً ألا تزال ممراراً »
وورد فيه حديث : « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراءى وإن كان محقاً »

١٠ - اجتنب ما استطعت إثارة المناقشات الدينية والسياسية ، اللهم إلا ما سهل الوصول به منها الى تقرير الحقيقة ، لبعده عن الأغلوطات وبواعث اللجاج والمراءى .
على أن هذه الأباحة ، لا تخليك من رعاية واجبات أهمها : أن تستوثق من أمر مناظر لك فإذا كان كفواً للبحث معك ، باحثه ، وإلا جانبته لتجنب المراءى الذى لا بد أن يقع فيه ، إذا كان من الجاهلين .

١١ - إذا جلست الى عالم بالدين . فليكن سؤالك

منه 'تفقها' لاتعتنا ، ولا تنطلق في ميدان المغالطة ، وعويصات المسائل ، التي لا تلبث أن تنقلب الى جدال ، كثيرًا ما يعود السائل منه بالخزي والخذلان .

سأل رجل فقيهاً عن الحصة يجدها الإنسان في ثوبه أو خنثه من حصي المسجد ، فقال له : إرم بها . قال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد . فقال : دعها حتى ينشق حلقها . قال الرجل : سبحان الله ! ولها حلق ! قال الفقيه : ومن أين تصيح إذا ؟ فأنصرف الرجل مفحماً بهذا الجواب بعد الذي أظهره من المراء والجدال .

وروى أن شاباً فرنسياً ، كان يجادل قسافي وجود الله ، فافتتح كلامه بأن عرف القس أنه لا يعتقد بالربوبية وقال بأقوال الزنادقة وافتخر بأنه زنديق . فأخذ القس يحدق فيه النظر صامتاً ، فسأله الشاب : ما تريد أن تري مني بهذا النظر الغريب ؟ أجاب القس : أريد أن أرى الحيوان الذي تسميه الزنديق فأني لم أره في حياتي !

﴿ آداب المدح والتفريط ﴾

١ — خَلِيقٌ بِالْعَاقِلِ أَنْ تَسْتَوِيَ عِنْدَهُ الْمَذْمَةُ وَالْمَدْحَةُ ،
لَأَنَّ الْأَوَّلَى قَبِيحَةٌ لِدَاتِهَا ، وَلِأَنَّ الثَّانِيَةَ ، بِمَا فِيهَا مِنْ
مِبَالِغَةٍ ، أَوْ كَذِبٍ ، أَوْ مِدَاهَنَةٍ ، تَفْسِدُ عَلَى الْمَدْدُوحِ نَفْسَهُ ،
إِذَا تَظَهَّرُهَا لَهُ فِي غَيْرِ مَظْهَرِهَا الْمَعْرُوفِ مِنْهُ .

فَإِذَا مَدَحْتَ مَادِحٌ ، وَأَحْدَثْتَ مَدْحَهُ فِي نَفْسِكَ
اسْتَشْعَارًا بِكَمَالِكَ ، فَانْظُرْ فِيمَا وَصَفَكَ بِهِ ، فَهُوَ : إِمَّا أَنْ
تَسْتَحِقَّ الْمَدْحَ عَلَيْهِ كَالْعِلْمِ ، أَوْ لَا تَسْتَحِقَّهُ كَالثَّرْوَةِ .
وَلَيْسَ فِي الْحَالِينِ مَا يُوجِبُ فَرَحَكَ ، لِأَنَّكَ لَمْ تَبْلُغْ غَايَةَ
الْعِلْمِ ، كَمَا لَمْ تَأْخُذْ عَلَى الزَّمَنِ مِثَاقًا بِحِفْظِ مَالِكَ .

٢ — يَضُرُّ الْمَدْحُ بِالْمَادِحِ وَالْمَدْدُوحِ مَعًا ؛ لِأَنَّ الْمَادِحَ ،
إِذَا أَفْرَطَ فِيهِ - وَهُوَ الْمَالِبُ - انْتَهَى بِهِ إِلَى الْكَذِبِ ،
بِقَوْلِهِ مَا لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى تَحْقِيقِهِ فِي ذَاتِ الْمَدْدُوحِ ، وَلِأَنَّ
الْمَدْدُوحَ يَحْمِلُهُ الْمَدْحُ عَلَى الرِّضَى عَنْ نَفْسِهِ ، بِمَا سَمِعَ

من الثناء عليها ، فلا يلبث أن يأخذه الأعجابُ بذاته ،
فيليه عن تحصيل درجة الكمال ، من العمل الذي كان
موضوع مدحه .

لذا يخلقُ بمن سمع مدحاً فيه ، أن يزجر المادح عنه
رفقائه وبنفسه . ولقد أثنى رجلٌ على عمر بن الخطاب (١) ،
فقال له عمرُ : « أَتهلكني وتهلكُ نفسك ؟ » ، وسأل رضى
الله عنه ، رجلاً عن شيءٍ مرّةً فأجابه : « أنت يا أمير
المؤمنين خيرٌ مني وأعلمُ » ، فغضب الخليفةُ وقال : « إني
لم آمرُك أن تزكيني »

٣ — إذا اقتضى المقامُ توجيهَ عبارات المدح ، فلا
بأس من إعطائها ، ولكن بقدر ما يعطى الطعامُ من

(١) أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل ثاقب الحنفاء الراشدين ولي الخلافة
(سنة ١٣ هـ — ٦٣٤ م) ومات (سنة ٢٣ هـ — ٦٤٣ م) ولقب بالفاروق
لأنه أعان الإسلام والناس حينئذ يخفونه ففرق بين الحق والباطل وكان المسلمون
يومئذ ٣٩ منهم امرأتان فكملهم أربعين . وقد سارت بهداه الزكيان وفي عهده
فتحت أمصار كثيرة منها مصر وفارس والشام وبرقة وطرابلس وغزا الروم وبلغ
من بلادهم إلى عمورية . وهو أول من دون الدواوين وختم الكتاب وأرخ
بعام الهجرة ودعى بأمر المؤمنين . وكان موته قتلاً من يد أبي أولؤة فيروز
الفارسي

الملح . لان المسرف في المدح ، كالسفيه في ماله ، يسجل على نفسه نقيصة البعد عن الثبوت والتروى . والجهل بحقيقة من يمدحه ، إذا كان يستحق الأ طراء أو لا يستحقه ، دغ أنه مستهدف نفسه ، إما لهمة الملق والمداهنة ، وإما لانتقاد الممدوح إياه .

على أنه لا يجوز للممدوح في هذه الحالة ، أن يجبه مديحه بالفضب منه ، لمدحه إياه ، أو أن يقول ما يشير الى اعتقاده بأن المقصود من هذا المدح الاستهزاء ، وإنما يتلطف في منعه عن الاسترسال في مدحه .

أتى رهط من بنى عامر رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : أنت والدنا .. أنت سيدنا .. أنت أفضلنا علينا فضلاً .. أنت أطولنا علينا طولاً .. أنت الجفنة الغراء .. أنت .. أنت . فقال رسول الله : قولوا قولكم لا يسهو بينكم الشيطان : أى اذكروا ما جئتم لأجله ، فأن اللسان إذا أطلق بالثناء ، ولو بالصدق ، يخشى أن يسهو به الشيطان ، الى الزيادة المستغنى عنها .

٤ — ليس لامرئ ، أن يمدح نفسه لغيره ، لأنه لا يملك حق تزكيتها بتحييد أعمالها ، والثناء عليها . قال تعالى : « ألم تر الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكي من يشاء » وقال سليمان عليه السلام : « دع مدح نفسك لغيرك لا تفعل ، واتركه للأجنبي لا لشفتيك »

كذلك لا يجوز أن يذمها للغير ، قاصداً المدح من وراء هذا الذم ، لأن ذم الرجل نفسه في العلانية ، مدحها في السريرة .

ولا يجوز أيضاً ، أن يحمل غيره على مدحه ، وإلا فقد أتى عملاً لا وصف له ، إلا أنه أخط من مدح النفس بالنفس ، ومن ذمها بقصد الأطراء والمدح .

٥ — لا بأس بالمدح ، إذا كان اعترافاً بحقيقة ، أو إذاعة لمفضلة ، وإنما يشترط فيه الصواب في تقديره ، ووضع في موضعه ، مع رعاية الاختصار والتحفظ في إيراد ، حتى لا يصدم المدوح في تواضعه ، ولا يخالف

الحقيقة في صورتها الصحيحة ، وإلاّ كان ملقاً أو ذماً في قالب المدح .

ولا تفتن بالمدح في مواجهة المدوح ، لكيلا تخرج مركزه ، لأنه ماسمع امرؤ ثناءً ، ولا مدحة ، إلاّ تصاغرت اليه نفسه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف ، كان خيراً له من أن يُثنى عليه في وجهه »

٦ - إذا مدحت شخصاً لمحدثك ، فلا تدع في كلامك ما يحملة السامع على محمل الذم في قالب المدح ، وإلاّ كان ثأؤك عليه والغيبة سواء .

﴿ آداب المسورة والتفبيح إلى الغلط ﴾

١ - لا يجوز لأحد ، لا بمركزه الاجتماعي ، ولا بما له من المكانة عند الأصدقاء ، أن يتحكم في إزامهم قبول رأيه ، أو التسليم بما نبه اليه من غلط ، ما لم يكن صاحب مظهر

رسمي، أو رياسة تبيح له ذلك، على اعتبار أنه المسئول عن تصرفات مرؤوسيه.

وليس للنظير مثل هذا الحق على نظيره، إلا إذا ارتفعت من بينهما الكلفة، أو كان إعطاء الرأي أو التنبيه إلى الغلط من أحدهما بدعوة من الآخر.

على أن ارتفاع الكلفة، لا يبيح لصاحب الرأي، أو لمنبه إلى الغلط، أن يتقدم بهما من تلقاء نفسه، إلا في الأحوال الخطيرة، وإلا كان من الرقباء الذين يحصون على الناس هفواتهم.

٢ — يحسن بمن يقبل على عمل، أو يشرف على مشروع، أن يمعن فيه النظر، ويطيل التأمل، ثم يستشير فيه من يعلم منهم العلم، وتجربة الأمور، وحسن التثبت، ليقوم بمشورتهم أعوجاج رأيه.

قال أحد حكماء العرب: «دعوا الرأي يغب^(١) حتى يختمر وإياكم والرأي الفطير» وقال آخر: «نصف

(١) يغب من غب يقال للطعام إذا بات والفرس هنا الأمان في الرأي. وتقليبه على وجوهه حتى يختمر وينتهي للنظير.

عقلك مع أخيك فاستشره .

٣ — يحسبُ بعضُ المستبدِّينَ ، أن في المشورة ضعفاً

فيهم ، وظهوراً لفقرهم الى غيرهم ، وأنه ليحسن في نظرهم تركها ، وإن ضاقت بهم المذاهبُ ، واختلفت عليهم المسالكُ ، وطوّح بهم الاستبهاً في الخطأ الفادح .

وهو وهم منشؤه الاستبدادُ ، وحبُّ الذات ، ولو كان أصحابه على شيء من الصواب لما وضعوا أنفسهم ، تطفلاً ، في مكانة فوق التي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أمره الله عزَّ وجلَّ بمشاورة من دونه في الرأي ، في قوله : « وشاورهم في الأمر » وقد قيل : « ماتدم من استشار ، ولا شئ من استخار » .

٤ — دلت المشاهدة ، على أن المتأنى يُدركُ الاحالة

بعض حاجته ، إذا لم يكن في وسعه أن يدركها جميعاً . فإذا عنَّ لك أن تبدى رأياً ، فلا تتعجل في إبدائه ، خيفة أن تدخل بذلك فيما لا يعينك ، بل تحين الفرصة الملائمة ، إذ كثير من المشورات النافعة ، ذهبت كما

تذهب الكتابة على الرمل ، وفقدت كثيراً من أثرها
الصالح ، لأن الزمان لم يكن ملائماً لأبدائها .

﴿ آداب المراسلة ﴾

١ - - إذا هممت بالكتابة ، فأنت مطالب بأمرين .
استحضار المعنى في ذهنك ، واختيار ما يؤديه من اللفظ ،
بشرط أن يكون كلاهما زينة الآخر وعمادة ، ولا شك
أنك برعاية هذا الشرط ، ترتفع عن طبقة الحشو ، وتبتعد
عن مذاهب العامة ، في التعبير عن المراد .

وجانب ما استطعت عيوب الأبناء ، فلا تستعمل
الألفاظ الغريبة ، والحروف الشاذة ، والتراكيب الداعية
إلى الاشتباه والالتباس ، ولا تنح نحو المتفاسحين
والمتكلفين ، بل أفرغ على عبارتك ، حلة سابعة من الصراحة
والرشاقة ، تكن من الكرام الكاتبين .

ثم اعلم أنك كاتباً ، أملك للوقت منك متكلماً ، لأن

المتكلم تضطره حاجة الارتجال ، الى التجاوز عن اللفظ
الجزل ، والعبارة الرشيقة ، بخلاف الكاتب فإن له من
سعة الوقت ، ما يستطيع به استدراك الخطأ ، والرجوع
الى الصواب .

لهذا وذاك كان خليفاً بك ، كما هممت بتحرير كتاب ،
أن تنقحه ثم تبيضه ، وأن تعنى بذلك ، لاسيما إذا كتبت
الى كبير ، له عليك حق الأجلال والتبجيل .

٢ — على أنك لاتعدّ ملماً برسوم الرسائل والمكاتبات ،
إلا إذا سبكت رسالتك ، بمعانيها الحسنة ، وألفاظها
الجميلة ، في قالب القواعد النحوية ، لافرق بين أن تكون
مسهية ، أو قصيرة لاتتجاوز بضعة سطور .

فإذا فرطت منك غلطة أو غلطات نحوية ، فأياك
أن تحشر تصحيحها بين سطور الرسالة ، لأنك بفعلك
هذا ، ترشد مراسلك الى مواطن الضعف منك ،
وتكشف له ، إما عن جهلك بقواعد النحو ، وإما عن
إهمالك الأخذ بها فيما تكتب ، وهذا وذاك يوجبان

الانتقاد عليك .

وخيرُ الوسائل لاتقاء هذا المحذور ، أن تتخذ مسودةً لما تكتبه ، ثم تبيضها بعد التنقيح ، وبديهي أن الكاتب المدرب على أساليب الكتابة ، الذي لا يكبو قامة في غلطات النحو ، ولا تنلت شوارد موضوعه من ذهنه ، في غنى عن هذا الاحتياط .

٣ — ليس كل ما يقع إليك من الورق ، بمناسب لبسط ما يعن لك من الآراء ، أو عرض ما يراد من الأقوال فيه . فالورق اللازم لتسطير رسائل الوداد ، بين الأهل والخلان ، هو المتوسط القطع ، وترك الهامش فيه ليس بشرط ، والورق المناسب لتحرير عروض الحال ، والطلبات ، والرسائل الموجهة الى الأمراء والوزراء ، هو الورق الكبير القطع ، وترك هامش متسع فيه ، شرط محتوم .

أما الورق الصغير القطع . فلا تجوز المراسلة فيه ، إلا لمن ارتفعت من بينهم الكلفة . من الأقرباء أو الخلان .

والواجبُ في هذه الأحوال ، أن يكونَ الورقُ
جيداً ، وليست جودةُ الورقِ بكثافةِ سمكه ، أو بخافتهِ
المذهبةِ ، أو بزواياهِ المحلاةِ بصُورِ الأزهارِ والأطيّارِ ،
وإنما بأن يكونَ من الورقِ الأبيضِ الصفيّ المتوسّطِ
السمكِ ، الخالي من أثرِ النقشِ والتصويرِ ، ما لم يكنْ من
تقاليدِ أسرةِ الكاتبِ ، ومقتضياتِ مركزها في المجتمعِ ،
ما يجيزُ الرمزَ إليها بشارَةً من الشاراتِ ، وفي مثل هذهِ
الحالةِ ، تطبعُ الشارةُ بالخبِرِ الأسودِ ، أو بالحروفِ البارزةِ
في الورقِ .

والرسالةُ الواحدةُ ، تكتبُ على ورقةٍ مزدوجةٍ ، أي
ذاتِ أربعِ صفحاتٍ ، ولولم يكتب فيها سوى سطرٍ أو
سطين .

على أنه يجوزُ . إذا كانَ موضوعُ الرسالةِ في مرفقٍ
من مرافقِ التجارةِ ، أو عملٍ من الأعمالِ ، الاكتفاءُ
بورقةٍ مفردةٍ تكتبُ من وجهٍ واحدٍ .

٤ — لا يجوزُ للكاتبِ أن يطبعَ اسمه في رأسِ ورقٍ

الرسائل ، إلا إذا كان من أصحاب الألقاب ، أو أرباب الأعمال التي تقتضى تعدد العناوين ، كالتجار والمقاولين والمزاولين للحرف الحرة الخ .

ولا بأس أن يتضمن ما يطبع في رأس ورق الرسائل ، رقم صندوق البريد أو التلفون ، إذا كان مشتركاً فيهما أو في أحدهما . وكذا اسم المدينة والحى الذى يقيم فيه ، والثلاثة الأرقام اليسرى من سنة التاريخ .

فليس للطالب فى المدرسة . ولا للعاطل من حلية العمل ، أن يطبع اسميهما على أوراق المراسلات ، لأنهما إذا فعلاه ، ادعى بما ليس فيهما ، وانتحلا ما لم يكن من صفاتهما .

وفى تحرير الرسائل ، تحسن كتابة الأعداد بحروف الكلام ، ما لم يقصد بها الدلالة على تاريخ الأيام والسنوات . ومبالغ المال ، فيكتب مثلاً : « خمسة وتسعون رجلاً » لا « ٩٥ رجلاً » و « ٢٥ قرشاً » و « ٤ ستمبر ١٩١٣ » لا « خمسة وعشرون قرشاً » و « أربعة

ستمبر الخ .

٥ — إذا عنَّ لك البحثُ في موضوعاتٍ متعدّدة ،
فافتتح رسالتك بما يكونُ منها أعظمُ أهميةٍ في نظرك ،
ثم اتّبعه بالباقي ، مراعيًا فيه تقديم الأهمِّ على المهمِّ ، وأبدأ
كل موضوع من أوّل السطر .

ومزنيّةُ هذا الاحتياط ، تجنبُ إضاعةِ الوقتِ فيما
لا يهمُّ ، حتى لا يفوتك علمُ ما يهمُّ ، والآ جرّرت إلى
نفسك بجهلك آياهُ ، خسارة في النفس أو في المال .

٦ — إذا هممت بتدوين رسالةٍ ، فاستحضر موضوعها
في ذهنك ، ومثله لناظرِكَ كأنك تراهُ ، كما ترى الصورة
مطبوعة في المرآة . ثمَّ بادِر بأفراغه في قالبِ التحرير ،
تنجُ من النسيان الذي يضطرك إلى كتابةِ الحواشي .

وأعلم أنّ الالتجاء إلى كتابةِ الحواشي ، يلصقُ بك
تهمةَ الأهمال ، أو الجهلَ بتنسيقِ الرسائل ، دَع أنه يشوّه
وجه الرسالة . ولا يتفقُ مع الأدب الواجبِ الرعاية في
المراسلات .

٧ - يبدأ الكتابُ ببسطِ الموضوعِ الباعثِ على تحريره ، ثمَّ يختمُ بأهداء عباراتِ التحية والتكريم ، والشوق والتعظيم .

فما ينافي الأساليبَ الوضعيةَ للرسائل ، ولا يتفقُ مع مصلحة كاتبها وقارئها ، افتتاحها ببيت تلك العبارات ، والاسترسال فيها بحيثُ تتناولُ القسمَ الأكبرَ من سطورها ، إذ أقلُّ ما في هذا الأسلوب من العيب والضرر ، أن تكون الرسالةُ في أمرٍ خطيرٍ ، فتحولُ مقدّماتها المسهية دون الوقوف عليه ، بما تحدّثه تلاوتها من الملل والسآمة ، وربما كان ذلك الأمرُ ماساً بمصلحة مهمة ، فتكونُ فداحةُ الضررِ بنسبة هذه الأهمية .

٨ - يقتضى تحريرُ عنوان من تكتبه ، سواءً أكان

بصدرِ المكتبة ، أم على الظرفِ المغلف لها ، عينَ العناية الواجبة في تحرير الرسالة ذاتها ، موضوعاً ووضعاً .

فإذا كان مراسلك ، من أصحاب المناصب وأرباب

الرتب ، فلا تغمطه حقّه بأهمال الألقاب اللائقة

بمناصبهم ومراتبهم . وأصف اليه الهادي تحرير عناوينهم على
الظروف ، بيان مكان إقامتهم بالدقة ، مع إياد الأرقام
المعينة للشارع ، كل ذلك بخط يمنع اللبس والاشكال .
ويحسن بوجه عام ، ذكر وظيفة من ترأسه أو
صناعته ، تقيه الخطأ المحتمل الوقوع ، في الأحوال الداعية
إلى اللبس . وإذا كانت هذه الصناعة وضيفة ، يسوء
ذكرها ضمن عنوانه ، فالذوق السليم ، وواجب الحرص
على كرامة الغير يتطلبان منك إغفالها ، ولكن يتحتم في
مقابل ذلك ، استيفاء البيانات الكفيلة بوصول الرسالة
إليه .

ويكتب اسم المدينة في الركن الأيسر من أسفل
الظرف ، ويلصق طابع البريد في الركن المقاطر له أي
الأيمن من أعلاذ ، وإذا كان المتراسل مقيماً بمدينة
واحدة ، استغنى عن ذكرها بكلمة « بالمدينة » أو
« بالبلدة »

وأغلب المتراسلين يكتبون على ظروف رسائلهم ،

جلاً مثل « بدوح ٨٦٤٥ » أو « بأمانة سيدى معروف الكرخى » الخ. وهى من اللغو الباطل، والحشو الذى لا فائدة منه، إذ لا تأثير لها فى ضمانه وصول الرسالة الى المرسل اليه، كما أن وضعهم جملة « مستعجل جداً » لا يحمل مصاحبة البريد على بذل فوق ما تبذله من العناية بإيصال الرسائل الواردة معها فى بريد واحد .

٩ — إذا كلفت أحداً بإيصال رسالة الى من تكتبه، فمن آداب الثقة أن تسلمها اليه مفتوحة، وإنما يجب عليه أن يبادر بإغلاقها أمامك .

وإذا كتبت كتاب وصية لأحد، فلا تختمه، بل سلمه اليه مفتوحاً . ليقف بعد انصرافه من عندك على مضمونها، ويعلم منه أنك كتبت هذه الوصية لاعن تكلف أو رياء، وإنما عن صراحة، ورغبة صحيحة فى إيصال النفع اليه .

وينبغى، فى حالة تضدير الرسائل بالبريد، أن تلاحظ المواعيد المقررة لأيداعها صندوق البريد، كي تصل الى

مراسلك في الوقت الذي لاتضيع فيه الفائدة المقصودة بالذات منها .

فرسائل التهئة بعيد ، أو بمناسبة من مناسبات الفرح والسرور ، كالزواج أو الميلاد ، ترسل قبل حلولها ، بما يكفي من الزمن لوصولها في ليلة ميعادها أو يومه .

على أنه يجوز ، لمن فاتته فرصة تصدير هذه الرسائل في الوقت المناسب ، لسبب وجيه ، وعذر لا مناص من الاخذ به ، تصديرها في خلال الأسبوع التالي لتاريخ ذلك العيد .

٩ - تذكرة البوستة قطعة مستطيلة من الورق المقوى ، يكتب على وجهها عنوان المرسل اليه ، وعلى الوجه الآخر موضوع الرسالة .

ولما كان القصد منها سد حاجة الكاتب ، إذا غاب عنه الورق ، أو المداد ، فغير لائق بالمهذب توجيهها للسيدات ولا للكبراء ، وإنما يقصر تبادلها ، على الذين ارتفعت بينهم الكلفة ، من الأشباه والنظراء .

وفي الوجه الخاص بتدوين موضوع الرسالة يكتب تاريخ اليوم ، واسم المرسل اليه ، ثم الموضوع ، بشرط أن يفصله عن هذا الأسم فضاء أبيض ، بقدر الفضاء الذي يشغله سطر من سطورها .

وإياك والاسترسال في بث عبارات الأشواق ، وإهداء ألفاظ التسليمات المباركات ، خيفة ألا يبقى في التذكرة موضع للتوقيع فضلاً عن الموضوع .

ومن الطيش وسوء التدبير ، إيداع تذاكر البريد أسراراً ماسة بأسرة الكاتب ، أو متعلقة بمصالحه المالية ، ومرافقه التجارية .

١٠ - سرّ الرسائل من الأسرار الواجب صونها ، فإذا فضضت ختام كتاب ، بوهم أنه موجه إليك ، ثم عانت من تلاوة ديباجته أنه مرسل إلى غيرك ، فبادر بطيه وإرساله إلى صاحبه . مصحوباً بكلمة اعتذار مشفوعة بنوع من أنواع التأكيد ، أنك لم تستقرئ منه ، إلا ما أفادك أنه لغيرك .

وإذا عثرت على كتاب مختوم في الطريق . فحذار
أن تفتحه أو أن تحاول استكناه ما تضمنه من السر ، بل
بادر بأرساله الى صاحبه ، إما بواسطة البريد ، أو بواسطة
أخرى تثق معها من وصولها اليه .

ولا تقرأ رسالة عهد الى أمانتك بإيصالها الى المرسل
اليه ، وإذا دفعها الكاتب اليك غير مختومة . لشقته بك ،
فيادر من فورك بختمها أمامه .

ولا تعتمد الوقوف خلسة خلف كاتب لتستطلع من
فوق كتفه . سر ما يكتب ؛ وإلا عرضت نفسك
للمؤاخذة والانتقاص .

فرطت من أحدهم مثل هذه الفرطة ، فلما شعر
الكاتب به ، كتب فيما كان يكتب لمراسله : « الى هنا
أقف عن موافاتك ببقية هذه الرسالة ، ريثما ينصرف
فلان من خلقي » فأخجله بهذه الجملة ، وألزمه ملازمة
الأسف والاعتذار .

١١ — جاء في المثل السائر « لكل سؤال جواب » ،

فما يجبُ عليك متى وصلَ اليك كتابٌ من أحدٍ ، أن
تبادرَ بالردِّ عليه ، لما في المبادرة من البراهين الناهضة
على حسن تربيتك وتقديرك الشيء قدره .

والأهمالُ في الأجابة . يسوقُ صاحبه الى السقوط
في رذيلة الكذب ، بما يضطرُّ الى انتحاله من الأعذار التي
من أقبحها ، أن يضع أوزارَ إغماله على عاتق « الأشغال
المتراكمة عليه » و « ضيق الوقت » وقد يكونُ من العاطلين ،
فبانتحاله هذا العذر ، يضيفُ الى رذيلة الكذب ، رذيلة
الادعاء باطلاً أنه من العاملين .

١٢ — مما يحسن في الترسل :

عدمُ كتابة خطابين لشخصين مختلفين في ورقةٍ
واحدة .

اجتنابُ المزح ما لم يكن المراسل يريدُ ذلك ، والمزحُ
على كلِّ حال لا يحسنُ مع الكبراء والرؤساء .

التزامُ صيغة الغائب في الكتابة الى العظماء
والوزراء ، فتقول « ولقد أمرَ عطوفةُ الوزير بكذا »

لا « ولقد أمرتم بإعطوفة الخ » .

اجتنابُ الورقِ المسطَرِّ ، أو المقطوعِ من الدفاتر ،
أو من الورقِ الكبيرِ ، لكتابة الرسائل .

إيضاحُ الأَمْضاءِ ، فلا تعطى لها الرسومُ والأشكالُ
التي تجعلها طلسماً لا يفك .

وضعُ تاريخِ الرسالةِ بأعلى الصحيفة مالم تكن موجهةً
إلى كبيرٍ ، أو صاحبِ مقامٍ خطيرٍ ، فأنها توضعُ بأَسفلهِ
إلى يمينِ الأَمْضاءِ .

عدمُ الاعتمادِ على « إنشاءِ مرعى » و « إنشاءِ العطار »
وغيرهما من المؤلفاتِ في نسجِ عباراتِ رسائلِك .
جعلُ خطِكِ في كلِّ ذلكِ واضحاً جميلاً .

